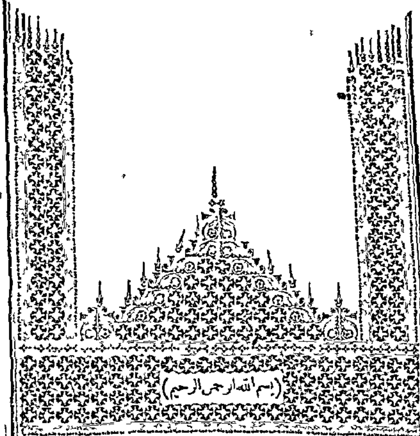


(ماشاء الله)

هذا كتاب مشارق الانوار فى فوز
اهل الاعتبار تأليف من هو
للفضائل حاوى الفاضل الشيخ
حسن العدوى الحمزاوى



*(الحمد لله الذي يمن بجمع الاحبة بعد الممات * فيحظون في الجنان بالنظر
الى الوجه الكريم وجميع ال[illegible] [illegible]لاة والسلام على منهاج روضة أهل
الشفاعات * وعلى آله و[illegible] * مادامت الارض والسموات *
وفاز صحب بحجة عروس أهل الحضرات (أما بعد) فيقول ذو التقصير والمساوى *
حسن العدوي الحمزاوي * قد سألني بعض الاخوان أصلح الله لي ولهم الحال
والشان * جمع كلمات تتعلق بالموتى حال احتضارهم وبعد الموت من سؤال وخلافه
وكيفية الزيارة المطلوبة لاسيما اهل البيت فأجبته بالتسويف لعلمي بقصوري عن
ذلك المرام فأكثر علي الطلب المرة بعد المرة فقلت له الفقير يعترف بقصوره تجاه *
وسماعك بالمعيدي خير من أن تراه * فأبى الا الاجابه * فأمسكت القلم الى
الكتابه * فقلت وبالله التوفيق * الى سلوك طرق التحقيق * (اعلم)
انه يتعلق بالشخص المريض امور قبل خروج روحه وبالميت قبل دفنه وفي قبره وفي
كيفية زيارته وفي حال قيامه من قبره وغير ذلك الى أن يصل الى دار المقامة ورتبته
على سبعة أبواب وخاتمة (وسميته مشارق الانوار * في فوز أهل الاعتبار) أسأل

الله

الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه *

(الباب الاول فيما يتعلق به الى أن يستقر فى القبر وفيه فصول أربعه)

(الفصل الاول فيما يطلب منه وهو فى حال صحة عقله)

(الفصل الثانى فيما يتعلق به حال الاحتضار)

(الفصل الثالث فى كيفيه خروج روحه)

(الفصل الرابع فى بيان حقيقة الموت وما جاء فى فضل تعجيل الدفن وما جاء فى معرفته للحاملين والمغسلين له وما للمشيع من الاجر)

(الباب الثانى فيما يتعلق به بعد استقراره فى القبر وفيه فصول خمسه)

(الفصل الاول فى كيفية السؤال وعمومه وخصوصه وتعدده واتحاده)

(الفصل الثانى فيما يفعله الانسه وبصنعه الحى له مما يكون سببا للتثبيت وتخفيف الاهوال)

(الفصل الثالث فيما يتعلق به فى القبر من نعيم دائم وتعذيب دائم ومنقطع)

(الفصل الرابع فى مستقر الارواح واختلاف محالها من سعيد وخلافه)

(الفصل الخامس فى سده تتعلق بالاموات مما تدل على ما هم فيه تنشيطا للراغبين كما ذكره العارفون)

(الباب الثالث فيما ... فيه فصول ستة)

(الفصل الاول فى الدليل الوارد بطهور ... يها)

*(الفصل الثانى فى الاوقات التى تأكد الزيارة فيها

(الفصل الثالث فيما ينبغى للحى فعله وقت الزيارة وما لا ينبغى)

(الفصل الرابع فى بيان المتفق على وصوله للميت والمختلف فيه)

(الفصل الخامس فى جملة من الاحاديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبيان عدد ازواجه وأجداده وأولاده وفضل أهل بيته صلى الله عليه وسلم)

*(الفصل السادس) فى بيان جمله من أهل بيته المدفونين بمصر وبيان محالهم كما حققه القطب الشعرانى فى منه وطبقاته والعلامة المناوى فى طبقاته وامام المحدثين جلال الدين السيوطى فى رسالته الزينبية والعلامة الاجهورى وذكروا ان من عام نعمة الله على عبده المسلم توفيقه لزيارتهم مقدما لهم على غيرهم

(الباب الرابع في بيان كيفية انقراض الدنيا الى النفخة الثانية)

(وفيه فصول ستة)

(الفصل الاول في بعض علامات الساعة الصغرى

(الفصل الثاني في الامام المهدى وماجاء فيه من الاحاديث)

(الفصل الثالث في الدجال وماجاء فيه من الاحاديث)

(الفصل الرابع في السيد عيسى عليه السلام)

(الفصل الخامس في خروج الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وموت المومنين بريح لينة وقيام الساعة على أشرار الخلق)

(الفصل السادس في النفخة الاولى ومايقع عندها

(الباب الخامس فيما يتعلق بالاموات عند البعث الى أن يصلوا الى الموقف)

(وفيه فصول سبعة)

(الفصل الاول في حقيقة الصور وعدد النفخات)

(الفصل الثاني في بيان النافخ وصفته)

(الفصل الثالث في بيان كيفية قيامهم من قبورهم)

*(الفصل الرابع في اعادة الاعراض القائمة بالاجسام تبعا لها وعرض الازمان باكوانها وهيئاتها)

(الفصل الخامس فيما يقولونه [illegible] قبورهم وهل يقومون عراة أو لابسين

(الفصل السادس في بيان حشر الأسلام والاعمال والقرآن والامانة والرحم والدنيا)

(الفصل السابع في بيان حشر العباد على نياتهم وأحوالهم التي ماتوا عليها واختلاف أحوالهم في الحشر من راكب وخلافه وبيان من يحشرون لا يحشر وحشر كل شخص مع من احبه)

(الباب السادس فيما يتعلق بالموقف الى أن يصلوا الى دار الخلود)

(وفيه فصول ثمانية)

*(الفصل الاول في بيان محل الموقف وفي الارض المبدلة وكيف هم عند التبديل)

(الفصل الثاني فيما جاء في اختلاف أحوال الواقفين على حسب أعمالهم وبيان

بعض

بعض ما ورد مما يكون سببا للنجاة منه)
(الفصل الثالث فيما ورد من تجلي الحق في الموقف والعرض والحساب أي بعض الأفراد
والعفو عن آخرين واستخلاص حقوق بعضهم من بعض وإرضائه بعض الخصوم
عن بعض)
(الفصل الرابع في بيان أول من يكسى وما ورد في أناس من كونهم جالسين على
منابر من نور أو كثبان من مسك وبيان أول من يدخل الجنة)
(الفصل الخامس في أخذ العباد صحفهم وكونه قبل الصراط والميزان وبيان أول من
يأخذ كتابه بيمينه وبالعكس ومن لا يحتاج لأخذه)
(الفصل السادس في الشفاعة العظمى وعدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم وبيان
من يشفع من الأخيار)
(الفصل السابع في الصراط والميزان)
(الفصل الثامن في الحوض المورود وبيان هل هو لكل نبي وهل هو قبل الصراط
أو بعده)

(الباب السابع فيما يتعلق بالجنة والنار ولكل منهما فصول يذكر في محلها ونختم
بالكلام على النظر إلى وجهه الكريم أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله

ونحن الآن شارعون فيما قصدناه [illegible]

(الباب الأول فيما يتعلق بالميت إلى أن يستقر في قبره وفيه فصول)

(الفصل الأول فيما يطلب منه وهو في حال صحة عقله) اعلم أنه يجب على المريض
في حال صحة عقله أن يخلص نفسه بتأدية الحقوق المطلوبة منه مالية كانت أو غيرها
لله أو للآدمي فإن بقاءها في ذمته يوجب مطالبته في الآخرة حيث لا دينار ولا درهم
فيقتص لهم من حسناته فإن لم يكن له حسنات طرح عليه من سيئات غيره الذي هو
صاحب الحق كما هو منصوص في البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون
دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ
من سيئات صاحبه فحمل عليه وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

تدرون من المفلس فيكم قالوا المفلس فينا من لادراهم له ولا متاع قال ان المفلس
من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا
وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا فنيت
حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح فى النار وفى
حديث مرفوع صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين وفى مسلم عنه صلى الله عليه
وسلم لتؤدين الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء
وتؤدين فى الحديث بالبناء للمجهول كما ضبطه بذلك العلامة المناوى على الجامع
الصغير وقوله الجلحاء بجيم ولام وحاء اى التى لا قرن لها وفيه دليل على بعث البهائم
وحشرها والقصاص لبعضها من بعض وهو الصحيح عند أهل السنة كما يأتى بيانه ان
شاء الله تعالى وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق
بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك الى وما بينى وبينك معرفة فيقول كنت
ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى قاله المحقق أبو الارشاد سيدى على
الاجهورى فى حاشيته على رسالة ابن أبى زيد قال الامام حجة الاسلام الغزالى فى
الاحياء ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صوم النهار وقيام الليل لعلمت
انه لا يمضى عليك يوم الا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع
حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات
فكيف بك يا مسكين فى يو[illegible]ك خالية من حسنات طال فيها تعبك
فتقول أين حسناتى فيقال [illegible] صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة
بسيئات غيرك فتقول يارب هذه سيئات غيرى فيقال هذه سيئات الذين اغتبتهم
وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة
والمدارسة فاتق الله فى العباد قبل يوم التلاق فينبغى للعاقل أن يخلص نفسه فى دنياه
قبل أن يحيط به خصماؤه فى يوم يشتد فيه الكرب ويعظم فيه الامر ويتعلق به كل
من خصمائه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يقول ظلمتنى وهذا يقول
استهزأت بى وهذا يقول اغتبتنى وأفسدت عرضى وهذا يقول رميتنى عند الظالم وهذا
يقول جاورتنى فأسأت جوارى وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول وجدتنى
مظلوما فما نصرتنى وهذا يقول وجدتنى أنهى عن المنكر فما عاونتنى فاذا حصل ذلك
تحيرت فيما بينهما كذلك اذ قرع سمعه نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت

لا اظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبه من هيبة الله الواحد القهار فيؤخذ له حقه منه على
ما تقدم انتهى فان تعذر عليه الاداء للحقوق اما لعدم معرفة أربابها أولا عساره
وعدم قدرته على ذلك فليرجع الى مولاه بالتوبة وكثرة الاستغفار لنفسه ولارباب
الحقوق عليه فلعل الله أن يرضى عنه خصماءه ولا يعذبه ولذلك قال العلامة ابن
ناجي عند قول مسلم طرح عليه من سيئات المظلوم محل الطرح المذكور اذا مات
الظالم وهو قادر على القضاء وأما اذا مات عاجزا عنه فلا يطرح عليه من سيئات مظلومه
شئ قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام واختلف العلماء اذا كان المظلوم ذميا
والظالم مسلما فقال بعضهم يسقط حقه كالحربي وقال آخرون صار حقا للنبي صلى الله
عليه وسلم يطلب به الظالم لقوله صلى الله عليه وسلم الا من ظلم معاهدا أو نقصه
أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيأ بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة والحديث
بلغت رواته مبلغ التواتر انتهى وما قاله ابن ناجي محمل على ما رواه ابن أبي الدنيا
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيته
ضحك حتى بدت ثناياه فقيل لم تضحك يا رسول الله قال رجلان من أمتي جثيا
بين يدي الله عز وجل فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال تعالى أعط
أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شئ فقال المظلوم يا رب فليحمل من
أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله   بالدموع فقال للظالم ارفع
بصرك فانظر الى الجنان فرفع بصره فرأى   خير والنعمة فقال لمن هذا
يا رب قال لمن يعطيني ثمنه قال ومن يملك ثمنه قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن
أخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال فخذ بيد أخيك فادخلا الجنة وقد علمت ان
محل هذا عند تعذر الاداء ولمن أراد الله أن يعفو عنه والله يختص برحمته من يشاء والله
ذو الفضل العظيم وسيأتي لهذا مزيد ان شاء الله تعالى في فصل الحساب وقولنا فيما تقدم
يجب عليه المبادرة بتأدية الحقوق واستسماح أهلها يعني ولو بالبراءة العامة عند مالك
خلافا للشافعي وأبي حنيفة القائلين لا بد من التفصيل ويجب عليه أن يتوب قبل
الغرغرة وهي مقبولة قبلها بالاتفاق قطعا في توبة الكافر بنص القرآن وكذا توبة
المؤمن العاصي قطعا على المشهور وقيل ان قبولها ظني أي من حيث الدليل والا
فأصل القبول متفق عليه وذكر العلامة عبد السلام في شرحه على جوهرة اللقاني
وجوب قبول التوبة سمعا وعدا لا عقلا فلا يجب عليه شئ أصلا توبة ولا غيرها لانه

يفعل ما يشاء وأما شرعاً فيجب قبولها بمعنى انه أخبر عن نفسه بقبول ذلك ووعد به
وألزم نفسه بذلك تفضلاً منه لا بايجاب عليه من الغير قال تعالى كتب ربكم على نفسه
الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب الى آخر الآية ولطفه وهل يجب قبولها
سمعاً ووعداً قطعاً قال امام الحرمين والقاضي نعم لكن بدليل ظني اذ لم يثبت في ذلك نص
قاطع لا يحتمل التأويل وقال امامنا أبو الحسن الاشعري بل بدليل قطعي انتهى لكن
قد يخدش ما قاله امام الحرمين من قوله لكن بدليل ظني بأن هذا لا يلاقي وجوب
القبول كل الملاقاة لان الوجوب لا يمكن علمه بخلاف الظني اللهم الا أن يقال أراد
بالوجوب الثبوت فلا تنافي حينئذ وهذا بالنظر للمؤمن العاصي وأما الكافر فقد علم
القطع بالقبول فالوجوب على ظاهره وأما بعد الغرغرة فلا تنفع مطلقاً كافراً أو غيره
لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني
تبت الآن وقوله سبحانه وتعالى أيضاً فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولقوله
أيضاً في حق فرعون حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت الآية ولذلك قال الامام
الرازي فلو أنه أتى بالايمان قبل مشاهدة العذاب ولو بلحظة لقبل منه ذلك والدليل
على قبولها قبل الغرغرة ما قاله صاحب كنز الاسرار ولواقح الافكار القاضي الصنهاجي
روى أبو أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقبل توبة عبده ما لم
يغرغر وفي رواية أخرى ما لم ترد [illegible] حلقه وقال فيه أيضاً قال الحسن البصري
ان ابليس لما هبط الى الارض [illegible]ك يا رب لا فارقت ابن آدم ما دامت روحه
في جسده فقال له المولى وعزتي وجلالي لا أغلق عليه باب التوبة ما دامت الروح في
جسده ما لم يغرغر وأما قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها
لم تكن آمنت من قبل الآية فالمراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها
واختلف في ذلك هل في يوم واحد أو في ثلاثة أيام طريقان ثم تطلع من المشرق على
عادتها الى يوم القيامة واذا طلعت من المغرب غربت في المشرق باتفاق القولين وقيل
ترجع بعد وصولها الى وسط السماء وتغرب في المغرب وعند ذلك يغلق باب التوبة
على المؤمن العاصي والكافر على المشهور وقيل على الكافر فقط لقوله تعالى لا ينفع
نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل الآية ولا يخفى رده بالعطف وهل ذلك خاص
بالمكلف حين طلوعها من المغرب أو عام طريقان وهل يستمر عدم قبول التوبة
الى يوم القيامة وهو ظاهر قول البرهان اللقاني والحق أنه من طلوع الشمس من

مصرّين الى يوم القيامة لا تقبل توبة أحد لكن صحح المحقق أبو الارشاد الاجهوري
في حاشيته على الرسالة أن عدم قبول التوبة من المؤمن العاصي والكافر خاص بمن
شاهد الطلوع ومن مرّ أما غير المميز الصبي أو مجنون ثم حصل له التمييز أو ولد بعد ذلك
فإنه تقبل منه التوبة ويمكن ترجيح هذا الذي قاله البرهان اللقاني بحمل كلامه
على الاتحاد المميز الموجود فيكون تصحيح الاجهوري تقييداً له فلا خلف حينئذ ومما
ينبغي له حينئذ أيضاً أن يغلب رجاءه على خوفه باتفاق الأئمة الثلاثة كما ينبغي له
عكس ذلك عند مالك وأبي حنيفة في حال الصحة على التحقيق من أقوال ثلاثة عند
مالك وقد أشار لذلك القطب الدردير في خريدته بقوله

وغلّب الخوف على الرجاء * وسر لمولاك بلا تناء

واستويا في حال الصحة عند الشافعي ويدل لمالك وأبي حنيفة ما ذكره السيوطي
في شفاء الصدور وذكره صاحب كنز الأسرار أيضاً وبهما أخرج ابن المبارك عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن
بالله وإذا كان حياً فخوّفوه ويدل للثاني فيه ما أخرجه ابن عساكر عن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن
الظن بالله ثمن الجنة وفي مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام لا يمو [illegible] ـن الا وهو يحسن ظنه بالله تعالى
(قلت) وهو إخبار والغرض منه الطلب والا [illegible] وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف
عن ابن مسعود قال والله الذي لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه
وفي شفاء الصدور وأخرج أحمد عن بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله وأخرج ابن المبارك وأحمد
والطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن شئتم
أنبأتكم أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة وما يقولون له قلنا نعم يا رسول الله قال
فإن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا
عفوك ومغفرتك فيقول قد وجبت لكم مغفرتي وأخرج ابن المبارك عن عقبة
ابن مسلم قال ما من خصلة في العبد أحب إلى الله من أن يحب لقاءه فإذا علمت ذلك
فالإنسان ينبغي له أن يلاحظ كرم سيده وفضله عند قدومه عليه ولو كان من أهل
التقصير فقد أخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه
فقالت عائشة رضي الله عنها انا لنكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا
حضره بشر برضوان من الله وكرامته فليس شيء احب اليه مما امامه واحب لقاء الله
واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره
اليه مما امامه وكره لقاء الله وكره الله لقاءه وفي شفاء الصدور اخرج احمد من طريق
همام بن عطاء بن السائب سمعت عبد الرحمن بن ابي ليلى وهو يتبع جنازة يقول حدثني
فلان بن فلان انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب لقاء الله احب
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فاكب القوم يبكون قال ما يبكيكم قالوا
انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن الشخص اذا حضر فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم فاذا بشر بذلك احب لقاء الله والله للقائه احب واما ان
كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم فاذا بشر بذلك كره لقاء الله
والله للقائه اكره واخرج ابن ابي الدنيا والبيهقي في شعب الايمان وابن عساكر عن
ابي غالب صاحب ابي امامة قال كنت بالشام فنزلت على رجل من قيس من خيار
الناس وله ابن اخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه اي على ارتكاب المعاصي فلا
يطيعه فمرض الفتى فبعث الغلام الى عمه فأبى ان يأتيه فأتيته انا به حتى ادخلته
عليه فاقبل اليه عمه يسبه ويقول اي عدو الله الم تفعل كذا وكذا ابريد بذلك تعداد
معصيته قال ارأيت اي عمي لو ان الله دفعني الى والدتي ما كانت صانعة بي قال كانت
والله تدخلك الجنة فقال الفتى فوالله لله ارحم بي من والدتي فقبض الفتى ودفنه
عمه فلما سوى اللبن سقطت منه لبنة فوثب عمه اي لاجل اصلاحها فاخر قلت
ما شأنك اي من اجل التأخر قال ملئ قبره نورا وفسح له مد البصر وهذا لحسن الظن
(قلت) ولعل الحكمة في باب حسن الظن حينئذ ان الخوف حينئذ يؤدي الى
اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وذلك من الكبائر وهو ايضا جهل بالله تعالى
وبسعة رحمته وافضاله على خلقه والامر على خلاف ذلك فحسن الظن حينئذ
في الله وعظم الرجاء فيه احسن ما تزوده العبد المؤمن عند قدومه على مولاه قال
في كنز الاسرار وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو
في النزع فقال له كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وآمنه مما

يخاف

يخاف ومرض اعرابي فقيل له انك تموت فقال أين يذهب بي فقيل الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال فيه ايضا وكانوا يعني السلف يحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بمولاه وذكر فيه وفي شفاء الصدور أيضا قالا قال بعض علماء المتأخرين اختلفت احوال الصدّيقين عند حضور الموت بهم فبعضهم قد غلبت عليه الهيبة وبعضهم قد غلب عليه الرجاء ومنهم من كشف له عما أوجب له السكون والامان والثقة بمولاه ومنهم من كان الغالب عليه الانس بسيده قال في كنز الاسرار وذلك كالعارف الشبلي رضي الله عنه وكان يقول طول ليله يعني ليلة وفاته هذين البيتين

ان قلبا أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج
وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتي الناس بالحجج

وهذا أعظم مقام العارفين ولذا قال العارف ابن الفارض حين رأى ما له من الجنان والحور عند وفاته

ان كان منزلتي في الحب عندكم * ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

ومن ذلك المعنى ما أفاده العلامة الامير على عبد السلام نقلا عن سيدي دمرداش قال انشد في كتابه مجمع الاسرار

ليس قصدي من الجنان نعيما * غير أني اريدها لأراك

وحيث كان ذلك من باب الانشاد لا الانشاء فلعله تكلم به بعد انشائه للسيدة رابعة العدوية فلا ينافي ما اشتهر من نسبته لها ومن ذلك المعنى قولها

كلهم يعبدوك من خوف نار * ويرون النجاة حظا جزيلا
أو أن يسكنوا الجنان فيحظوا * بقصور ويشربوا سلسبيلا
ليس لي بالجنان والنار حظ * أنا لا أبتغي بحبي بديلا

فملحظ العارفين شهودهم لسيدهم وانسهم به ولذلك قال العارف الشبلي رأيت في بعض الايام مجنونا والصبيان حوله يرجمونه بالحجارة وقد ادموا وجهه وشجوا رأسه فجعل الشبلي يزجرهم عنه فقالوا دعنا نقتله فانه كافر يزعم انه يرى ربه ويخاطبه فقال كفوا أيديكم عنه ثم تقدم الشبلي اليه فوجده يتحدث وحده ويضحك ويقول أجمل منك تسلط علي الصبيان يعملون بي هكذا فقال له الشبلي انهم يزعمون انك ترى ربك وتخاطبه فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا شبلي وحق من تيمني

بحبه * وهي بقربه * لو احتجب عن طرفة عين لتقطعت من ألم البين * قال الشبلي فعلمت انه من الخواص * ارباب الاخلاص * فقلت له حبيبي ما حقيقة المحبة فقال مه يا شبلي فوالله لو قطرت قطرة من المحبة في البحار لعادت سعيرا * ولو وضعت ذرة منها على الجبال لصارت هباء منثورا * فكيف بقلوب كساها الغرام قلقا وسعيرا * وزادها الهيام حرقا وتحريقا * ثم انشأ يقول

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا * وسقاه كأسا فاغتدى مخمورا
واعتاده حر اللهيب ولم يرد * الا الحبيب فنال منه حبورا
يا فوز من كان الحبيب نديمه * وغدا اليه في الجميع مشيرا
فاذا رأيت محبه في سكره * خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن محبوبه * حاش المحب يكون عنه صبورا

قال في كنز الاسرار وقد فتح عبد الله بن المبارك عينيه فضحك وقال عند خروج روحه لمثل هذا فليعمل العاملون وهذا ما عاينه من المقام له رضي الله عنهم وعنا بهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم وعظم

(الفصل الثاني فيما يتعلق به حال الاحتضار) قال بعض المحققين اعلم انه ينبغي تنظيف المحتضر وازالة الاذى عنه تهيؤا للقاء على حالة النقاء من الادران والاوساخ ولذلك شرع غسل الميت وتوضيئه ورعاية مصل انبساط لنفس المحتضر بذلك لان الصبايا مجبولة على حب النقاء والتنظيف ولذلك قال الامام ابن رشد يستحب ان يكون ما حوله وما تحته طاهرا ان امكن ذلك ولانه تحضره الملائكة عند الاحتضار وهم يحبون النظافة والرائحة الطيبة ولذلك ينبغي تجميره وضمه ان كان هنالك ما تأنف منه الطباع من الروائح المنكرة كما يوجد في بعض المرضى لانبساط الملائكة بذلك فانه ليس لهم حظ من الدنيا واهلها اعظم من الرائحة الطيبة كما ورد ذلك ويدل على حضورهم عند الاحتضار ما قاله العلامة عبد الباقي على خليل قال (فائدة) وردان جبريل يحضر كل من مات من امة محمد وما اشتهر على السنة الناس انه لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فلا اصل له ومن الدليل على بطلانه ما للطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت قلت يا رسول الله هل يرقد الجنب قال ما احب ان يرقد حتى يتوضأ فاني اخاف ان يتوفى فلا يحضره جبريل قال العلامة الامير عليه قوله فلا اصل له اومعناه انه لا ينزل بتجديد شريعة اه وذكر

الامام السيوطي في شفاء الصدور وقال اخرج البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان المؤمن اذا حضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه
كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضيا عنك
الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت
على الحريرة وذهب بها الى عليين وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان حضور ملائكة
الرحمة مع ملك الموت ومما ينبغي ايضا ان يحضره افضل اهله واحسنهم صلاحا وكمالا
وكثرة الدعا له وللحاضرين قال العلامة عبد الباقي لان الملائكة يحضرون
ويؤمنون وهو من مواطن استجابة الدعاء وينبغي تجنب الحائض والنفساء قال الشيخ
عبد الباقي ويندب ان يجنب الميت كل ما هو غير مأذون في اتخاذه او مطلقا على الخلاف
في ذلك وتمثالا وآلة لهو لكراهة الملائكة لذلك وان لا يبكى عنده وان يسترجع عنده
بحيث يسمعه اه وينبغي تجنب الوارث المبتدعة ويستحب تقبيله للقبلة عند
احداده اي شخوص بصره الى السماء فيجعل على شقه الايمن ثم ان لم يمكن فعلى ظهره
ورجلاه للقبلة ويستحب قراءة شيء من القرآن لا سيما يس لما ورد فقد اخرج ابن ابي
الدنيا والديلمي عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من ميت يقرأ
عنده يس الا هون الله عليه واخرج ابن ابي شيبة وابو داود والنسائي والحاكم
وابن حبان عن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا على موتاكم
يس قال ابن حبان اراد به من حضره الموت وذكر بعضهم انه يستحب قراءة الرعد
عنده ايضا ويدل له ما اخرجه ابن ابي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال كان
يستحب اذا حضر الميت ان يقرأ عنده سورة الرعد فان ذلك يخفف عن الميت وانه
اهون له قبضا وايسر لشأنه وكان يقال قبل ان يموت الميت بساعة في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لفلان بن فلان وبرد عليه مضجعه ووسع عليه في قبره
واعطه الراحة بعد الموت والحقه بنبيه وتول نفسه وصعد روحه في ارواح الصالحين
واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب ويصلي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرر ذلك حتى يقبض وقال في شفاء الصدور
ايضا قد اخرج ابن ابي شيبة والمروزي عن الشعبي قال كانت الانصار يقرؤن عند
الميت سورة البقرة اه وكراهة ذلك عند مالك حيث فعل ذلك على اعتقاد السنة
كما يأتي توضيحه ان شاء الله تعالى ومما ينبغي ايضا تلقين الشهادتين عند الاحتضار

قال القاضي عياض ان التالين ستة تمل بها المحاون ومراده بالسنة الطريقة فلا ينافي الاستحباب وذلك عند الموت لا على القبر على احدى الطريقتين عند مالك وهي المشهورة وفي الشيخ عبد الباقي على خليل قال وندب ايضا تلقينه الشهادتين بعد الدفن كما جزم به الترمذي والثعالبي وصاحب المدخل وغير واحد من المالكية وفاقا للنووي للحديث الطويل الذي في آخره ان منكرا ونكيرا يتأخران عنه كل واحد منهما يقول لصاحبه انطلق بنا الخ وفي مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله اى مع الشهادة الاخرى فهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله قال العلامة الشيخ عبد الباقي وهل ندب ذلك ليكون آخر كلامه أو ليطرد به الشياطين الذين يحضرونه لدعوى التبديل والمسألة ذات تماثل وجهان ذكرهما المازري في المعلم قال ابن نافع والصواب معا قطعا وهل التلقين للصغير والكبير وخصه النووي بالثاني ويدل له تعليل الامام المازري بقوله لكونه موضعا يتعرض الشيطان فيه لافساد اعتقاد الانسان فيحتاج الى المذكر والمنبه ويحتمل ان يقصد كون ذلك آخر كلامه فيحصل له ما وعد به في الحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة اى مع السابقين او يكون ذلك منه علامة على موته مؤمنا والا فلا خصوصية وقد اخرج ابو يعلى والحاكم بسند صحيح عن طلحة وعمر رضي الله عنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت الا وجد روحه لها روحة حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة وفي لفظ الا نفس الله عنه واشرق لونه ورأى ما يسره لا اله الا الله واخرج ابن ابي الدنيا في كتاب المحتضرين والطبراني والبيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه يقول حضر ملك الموت عليه السلام رجلا يموت فشق اعضاءه فلم يجده عمل خيرا ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وشق الاعضاء والقلب كناية عن عدم العمل لهما واخرج ابن عساكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة لا اله الا الله الحليم الكريم ثلاث مرات الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير اه من شفاء الصدر وزوذ ليل طالب

التلقين

الملقن على القبر على ما ارتضاه صاحب المدخل وجزم به القرطبي ووافق المذهب الشافعي حديث سعيد بن عبد الله الأسدي كما في شفاء الصدور وكنز الأسرار قال شهدت أبا امامة الباهلي في النزع فقال يا أبا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم عند رأس قبره ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول عند الثالثة أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد عنه فيقول انطلق بنا نقعد عنده وقد لقن حجته فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء وبهذا الحديث أخذ الشافعي وأبو حنيفة وغير واحد من المالكية كما في صاحب المدخل ومشهور مذهب مالك يرى ضعف الحديث وان شرط العمل به ان لا يشتد ضعفه وان يندرج تحت أصل كلي قال الشيخ عبد الباقي ولم يوجد في هذا الحديث اندراج تحت أصل كلي فلا يعمل به وان كان في المقاصد تقويه اه قال العلامة الامير في حاشيته عليه واورد ان هذا مندرج في نفع المؤمن أخاه وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اه فيكون هذا مقويا لما درج عليه صاحب المدخل وجزم به القرطبي فيكون الاعتماد عليه لاسيما والحديث قواه الحافظ السخاوي في المقاصد ولكل وجهة رضي الله عن الجميع ومما ينبغي أيضا عدم كثرة الكلام عنده والالحاح عليه ولو بالتلقين بل يسكت من كل تلقينتين لئلا يضجر الميت ويشق عليه لاستماع ضيق الصدر اذ ذاك واختلال الحس من شدة الكرب وقد يبدو منه بسبب ذلك قول مكروه قال في شرح الشيخ عبد الباقي نقلا عن العلامة الابي ولا يقال له قل لانه تكليف وليس بمحل تكليف قال العلامة الامير فهم شيخنا ان المراد بالتكليف الشرعي فقال انه مخاطب بذلك على سبيل الندب والظاهر ان المراد به التشديد في الخطاب وذلك انه في خطب عظيم اه وقال العلامة الابي أيضا في تعليله ولانه لو قيل له قل لربما قال لا حوابا لرذ فتنة الفتانين أو ابليس كما وقع للامام أحمد فيساء الظن به وفي الشبرخيتي تفصيل الواقعة عن سيدي عبد الله بن الامام أحمد رضي الله عنه قال لما حضرت أبي الوفاة جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقول في حال

اغماء لابد لابد فلما افاق قلت يا ابت ما الجحد به في هذا الوقت فقال يا بني الا تدري ذلك قلت لا قال ان ابليس قائم بحذاءى عاضا على انامله يقول فتني يا احمد فاقول لا بعد حتى اموت اه وذكر العلامة الاجهوري على المختصر قال (تتمة) قال الابي اتفق ان ابن عرفة مرض مرضا شديدا اشرف فيه على الموت ثم نقه بكسر القاف اي طاب فدخلت عليه مع بعض الطلبة فأخذ يحضضنا على الجد في طلب العلم ويقول العلم ينفع في الدنيا والآخرة ثم قال غشى على في مرضي هذا فتمثلت لي طائفتان احداهما عن يميني وهي الصغرى والاخرى عن شمالي وهي الكبرى والتي عن يميني ترجح الايمان بالله والتي عن شمالي ترجح الكفر به وتورد شبها فوفقني الله للجواب عنها بما اعرفه من قواعد التوحيد فلما سرى عني علمت ان توفيق الله ببركة العلم وكون الله ينفع به في الدنيا والآخرة اه قال العلامة الشيخ عبد الباقي ثم اذا قالها المحتضر بعد التلقين لا تعاد عليه الا ان يتكلم بكلام اجنبي فتعاد لتكون آخر كلامه لخبر من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة ويكون الملقن له غير وارثه ان وجدوا الا فارفقهم به ولا يضجر الملقن من عدم قبول المحتضر لما يلقن اه لانه يشاهد ما لا يشاهدون لانه مشغول بالتوحيد ومدافعة أهل الفتن ولذلك قال المازري في تعليل ترك الامر عند التلقين لانه مشغول بمدافعة أهل الفتن فربما مع الامر بضجر ذهنه من شدة الكرب فيفهم أن امر الحي له طاعة لاهل الفتن والعياذ بالله تعالى من ذلك وفي الشيخ عبد الباقي ومن خرس لسانه او اذهب المرض عقله فلم ينطق قبل الموت حكم له بما كان عليه قبل من الاسلام كما ان الكافر يحكم له بما كان عليه من الكفر اه وفي شفاء الصدور للحافظ السيوطي ومما يكون سببا للثبات على الايمان وتسهيل النطق بالشهادتين عند الموت بر الوالدين ورضاهما قال أخرج البيهقي في شعب الايمان والطبراني عن عبد الله بن ابي اوفى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ههنا غلاما قد احتضر فقال له قل لا اله الا الله فلا يستطيع أن يقولها قال أليس كان يقولها في حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته فنهض النبي صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال يا غلام قل لا اله الا الله قال لا أستطيع أن اقولها قال ولم قال لعقوقي والدتي قال أحية هي قالوا نعم قال أرسلوا اليها فجاءته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنك هو قالت نعم قال أرأيت لو أن نارا

أخت فقيل للشاب لم تشفعي فيه فدفعها في النار فقالت اذن كنت أشفع له قال
اشهدي الله واشهدينا انك قد رضيت عن ابنك قالت قد رضيت عن ابني قال قل
ياغلام لا اله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
الذي أنقذه بي من النار اه ولعل ذلك الغلام كان بالغا والا فهو ناج لرفع القلم عنه
وظاهر الحديث ان لم يحمل على ان الغلام كان بالغا شاهد لمن يرى صحة ارتداده
كاسلامه كما نص على ذلك في كتب الحنفية مع المؤاخذة بها في الآخرة عندهم
ومذهب مالك عدم مؤاخذته بالارتداد في الآخرة وان كانت ردته معتبرة
في الدنيا ولا تجري عليه أحكام الاسلام ولعل ذلك الغلام أيضا قال لا اله الا
الله مع قرينتها محمد رسول الله لان الانقاذ من النار متوقف على الاعتراف لله
بالوحدانية ولمحمد بالرسالة العامة جعلنا الله من أهل شفاعته * ومما ينبغي أيضا
تغميض بصره عقب خروج روحه وشد لحييه وتليين مفاصله برفق ورفعه عن الارض
خوفا من الهوام ومن اسراع الفساد اليه وستره بثوب حتى وجهه لانه ربما تغير وجهه
من المرض تغيرا فاحشا فيظن من لا معرفة له به ما لا يجوز ووضع ثقيل أيضا على بطنه
خوفا من انتفاخه واسراع تجهيزه الا الغرق والصعق ومن يموت فجأة كمن به مرض
السكتة ومن مات تحت هدم فلا يندب الاسراع به بل يؤخر ولو يومين حتى يتحقق الموت
اه عبد الباقي والعلامة الامير فان ترك تغميض العينين عقب الموت جذب شخص
عضديه وآخر ابهامي رجليه فمعا فانه يغلق بصره مجرب اه ودليل طلب التغميض
ما ذكره الحافظ في شفاء الصدور قال أخرج الطبراني في الاوسط عن أبي بكر رضي
الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة رضي الله عنه وهو
في الموت فلما شق بصره أي شخص مد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فأغمضه فلما
أغمضه صاح اهل البيت فسكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان النفس
اذا خرجت يتبعها البصر وان الملائكة تحضر الميت ويؤمنون على ما يقول أهل البيت
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين واخلفه
في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يوم الدين وفي شفاء الصدور وأخرج الحاكم عن شداد
ابن أوس رضي الله تعالى عنه قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا حضرتم الميت فأغمضوا البصر فان البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فان الملائكة
تؤمن على دعاء أهل البيت وأخرج المروزي عن أبي بكر بن عبد الله المزني رضي الله

عنه قال اذا غمضت ميتا فقل باسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم أماتنا الله عليها بجاهه عنده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم وشرف وكرم

(الفصل الثالث في كيفية خروج روحه وصفة القبض وصفة الملك عند قبضه ورفقه بالمؤمن ومعاينة المحتضر له وللملائكة الذين معه) اعلم انه اذا أراد الله وفاة عبد حضرته الملائكة الاعوان مع ملك الموت يجذبون السر الالهي الى أن يصل الى ترقوته فيكون الآخذ له عزرائيل وحينئذ لا معارضة بين الآيات الثلاث وهي توفته رسلنا وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها وقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم لان الآية الاولى بالنظر الى ابتداء القبض عند معالجتها من الجسم والثانية بالنظر الى الايجاد الحقيقي والثالثة بالنظر الى انتهاء القبض حين الوصول الى الحلقوم وحين ذلك يحضرها الشيطان في صورة من هو أحب الناس اليه أو أحد أبويه كما في رواية اخرى ويعرض عليه الاديان الباطلة لاجل الافتتان فيقول له مت على دين كذا فقد سبقتك فوجدته أحسن الاديان أعاذنا الله من ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * قال ابن عباس في تفسير هذه الآية ان المؤمن اذا حضره الموت شهدته الملائكة ويبشرونه فيحميه الله بسبب حضورهم من الافتتان وقال عطاء في تفسير قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا ان ذلك عند الموت فتأتيهم الملائكة بالرحمة والبشرى من الله تعالى وتأتي أعداء الله بالغلظة والفظاظة وقال الزهري في تفسيرها هي المبشرات التي يبشر الله بها عبده المؤمن عند الموت وهذا المعنى يشير اليه قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة على أحد التأويلين في الوقت (وأما رفقه بالمؤمن) فيأتيه على صورة حسنة جميلة * وفي الاحياء للغزالي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج منه أغلقه فدخل ذات يوم فاذا رجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال له أدخلنيه ربها فقال ابراهيم أنا ربها فقال له أدخلنيها من هو أملك لها مني ومنك فقال من انت من الملائكة قال انا ملك الموت فقال له هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فاعرض عني فأعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه قال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك هذه لكانت حسبه وهذه

الحالة لا تنافي مشقة الخروج للروح عند الجذب من الاعوان والاعوان من أهل الرحمة ان كان من اهل الخير وأعوان العذاب ان كان من أهل الشر واختلف في قدرهم فقيل اربعة وقيل ستة ثلاثة لأهل الايمان وثلاثة لأهل الكفر ذكره الجمل في حاشيته على المفسر قال السيوطي في شرح الصدور أخرج ابن أبي الدنيا عن ابراهيم النخعي قال بلغنا أن المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة وريحان من ريحان الجنة فتقبض روحه فتجعل في حريرة من حرير الجنة ثم تنضح بذلك الطيب وتلف في الريحان ثم ترتقي بها ملائكة الرحمة اه وهم غير الاعوان المتقدم ذكرهم ولذلك قال العارف الشعراني في كتابه مختصر التذكرة وفي الحديث أيضاً انه ينزل على الميت أربعة من الملائكة ملك يجذب روحه من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يمينه وملك يجذبها من شماله ذكره الامام الغزالي قال وربما أطلع على لسان الميت وهم يجذبون روحه من أطراف البنان ورؤس الاصابع والنفس مع ذلك يسيل انسلال الماء من السقاء ان كانت سعيدة قال والميت يظن أن بطنه ملئت شوكا ويحس أن نفسه تخرج من ثقب ابرة وكأن السماء قد انطبقت على الارض وهو مضغوط بينهما فاذا وصلت الروح الى القلب مات اللسان عن النطق وجمعت النفس في صدره ثم عند ذلك تختلف أحوال الموتى فمنهم من يطعمه الملك حتى تذكر به مسمومة بدسيسة من نار وتصير على صورة انسان ثم يناولها الزبانية اه وهذا اختلاف أهل السعادة فالحال يختلف شديداً وخفيفاً باعتبار الاشخاص وقد أخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم وابن منده من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن الحارث عن ابن الخزرجي عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقد رأى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت طب نفسا وقر عينا واعلم أني بكل مؤمن رفيق واعلم يا محمد اني لا أقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ قمت في الدار ومعي روحه فقلت ما هذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا في قبض روحه من ذنب فان ترضوا بما صنع الله تؤجروا وان تسخطوا تأثموا وتوزروا وان لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر وما من أهل بيت شعر ولا مدر ولا بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل الا أنا أتصفحهم في كل يوم وليلة حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله لو أردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى يأذن بقبضها

ويؤخذ من قوله في الحديث روح بعوضة انه القابض لجميع المخلوقات من كل ذي
روح آدمي او غيره وهذا هو التحقيق وهو الذي اجاب به مالك حين سئل هل يقبض
ملك الموت البرغوث فسكت ثم قال اليس ذا نفس وقيل انه لا يقبض ارواح البهائم
بل اعوانه وهو ضعيف كما علمت (واما صفته عليه السلام) فهو ملك عظيم هائل
المنظر مفزع جدا رأسه في السماء العليا ورجلاه في تخوم الارض السفلى ووجهه مقابل
اللوح المحفوظ والخلق بين عينيه وله اعوان بعدد من يموت يرفق بالمؤمن ويأتيه
في صورة حسنة * وقد اخرج ابن ابي الدنيا وابو الشيخ عن ابن المثنى والحمصي قالا
ان الدنيا سهلها وجبلها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فيقبض الارواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء قيل فاذا كانت ملحمة
وكان السيف مثل البرق قال يدعوها فتاتيه الانفس واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان نفسين اتفق موتهما في طرفة عين واحد
بالمشرق والآخر بالمغرب كيف قدرة ملك الموت عليهما قال ما قدرة ملك الموت على
اهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والبحور الا كرجل بين يديه مائدة يتناول
من ايها شاء واخرج ابن ابي حاتم عن زهير بن محمد قال قيل يا رسول الله ملك الموت
واحد والزحفان يلتقيان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك فقال
ان الله حوى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي احدكم فهل يفوته
منها شيء * واخرج ابن ابي شيبة في المصنف قال حدثنا عبد الله بن نمير عن الاعمش
عن خيثمة قال اتى ملك الموت سليمان بن داود وكان له صديقا فقال له سليمان مالك
تاتي اهل بيت فتقبضهم جميعا وتدع اهل بيت الى جنبهم لا تقبض منهم احدا قال
لا اعلم بما اقبض منها انما اكون تحت العرش فتلقى الي صكاك فيها اسماء واخرج
ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا استاذن ربه ان يهبط الى
ادريس عليه السلام فاتاه فسلم عليه فقال له ادريس عليه السلام هل بينك وبين
ملك الموت شيء قال ذاك اخي من الملائكة قال هل تستطيع ان تنفعني عنده بشيء
قال اما ان يؤخر شيئا او يقدمه فلا ولكن سأكلمه لك فيرفق بك عند الموت قال اركب
بين جناحي فركب ادريس عليه السلام فصعد الى السماء العليا فلقي ملك الموت
وادريس عليه السلام بين جناحيه فقال له الملك ان لي اليك حاجة قال تكلمني
في ادريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من اجله الا نصف طرفة عين فمات

ادريس بين جناحي الملك ثم أحياه الله وأدخله الجنة فهو الآن فيها اه وهذه
الرواية تنافي ما ذكره العلامة الجمل في حاشيته على التفسير نقلا عن الخازن * قال
وهب كان يرفع لادريس من العبادة مثل ما يرفع لجميع اهل الارض في زمانه فعجبت
منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه
في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه
فأبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره ادريس وقال له في الليلة الثالثة
اني اريد ان اعلم من انت فقال انا ملك الموت استأذنت ربي ان أصحبك فقال لي
اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فأوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبضها
وردّها الله اليه بعد ساعة فقال ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال
لأذوق الموت وغمرته فأكون اشدّ استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة
قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه
فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة قال وما هي قال تسأل مالكا حتى يفتح ابوابها
ففعل ثم قال وكما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتحت
أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة
وقال لا اخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك لم لا تخرج فقال لأنّ
الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد
وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج منها فأوحى الله الى ملك الموت
باذني دخل الجنة وبأمري لا يخرج منها فهو حيّ هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه
مكانا عليا واختلفوا في انه حيّ في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم حي
وقالوا اربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض وهما الخضر والياس عليهما
السلام واثنان في السماء وهما عيسى وادريس اه خازن وفي القرطبي وقال السدّي
انه نام ذات يوم فاشتدّ عليه الشمس وحرّه وهو يمشي في كربه فقال اللهم خفف
عن ملك الشمس وأعنه فانه يمارس نارا حامية فأصبح ملك الشمس وقد نصب له
كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون
عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لي هذا قال له دعا لك رجل من
بني آدم يقال له ادريس ثم ذكر نحو حديث وهب ثم قال أي القرطبي قال النحاس
قول ادريس وما هم منها بمخرجين يجوز ان يكون أعلم بهذا ادريس ثم نزل القرآن

به قال وهب بن منبه فادريس يرفع تارة الى الجنة وتارة يعبد الله مع الملائكة
في السماء الرابعة اه قال السيوطي في شرح الصدور وكان يقبض الارواح عيانا
فكان يأتي الشخص ويقول له اقض حاجتك فاني اريد ان اقبض روحك فشكته
الناس فشكا لمولاه فانزل الله الداء وصار يقبض خفية واخرج احمد والبزار وصححه
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ملك الموت يأتي الناس عيانا
فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه فقال يا رب عبدك موسى فقأ
عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه قال له اذهب الى عبدي موسى فقل له فليضع
يده على متن ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فأتاه فقال له ما بعد هذا قال الموت قال
فالآن قال فشمه شمة فقبض روحه ورد الله عليه عينه فكان بعد يأتي الناس خفية
ذكر العارف الشعراني بعد ان حكى رواية للامام الترمذي بمثل هذا انما فقأ موسى
عين ملك الموت باذن من ربه عز وجل لانه معصوم ولذلك لم يعاتبه الله على ذلك
قال العارف الشعراني في مختصر التذكرة وروي ان موسى عليه السلام لما صارت
روحه الى الله عز وجل قال له يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي
كالعصفور الحي يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وفي رواية وجدت
نفسي كالشاة تسلخ بيد القصاب وفي الحديث ان الموت أشد من ضرب السيوف ونشر
المناشير وقرض المقاريض اه وذكر في شرح الصدور قال اخرج ابو حذيفة اسحاق
ابن بشر في كتاب المبتدا بسنده عن ابن عمر قال قال ملك الموت يا رب ان عبدك
ابراهيم جزع من الموت فقال قل له الخليل اذا طال به العهد من خليله اشتاق اليه
فبلغه قال نعم يا رب قد اشتقت الى لقائك فاعطاه ريحانة فشمها فقبض واخرج احمد
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه
السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج اغلق الابواب فلم يدخل على اهله احد حتى
يرجع فخرج ذات يوم ورجع فاذا في الدار رجل قائم فقال له من انت قال انا الذي
لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب قال داود انت اذن والله ملك الموت مرحبا بأمر الله
فزمل داود مكانه وقبضت نفسه واخرج الطبراني عن الحسين ان جبريل عليه
السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم يوم موته فقال كيف تجدك قال اجدني
يا جبريل مغموما واجدني مكروبا فاستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل
يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على

آدمي مثلك قال ائذن له فأذن له فأقبل حتى وقف بين يديه فقال ان الله ارسلني
اليك وأمرني ان اطيعك ان امرتني ان اقبض نفسك قبضتها وان كرهت تركتها قال
وتفعل يا ملك الموت قال نعم بذلك امرت فقال له جبريل ان الله قد اشتاق الى لقائك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امض الى ما امرت به ولم تكن هذه الكلمة
آخر كلامه من الدنيا بل اللهم الرفيق الاعلى كما نقله الامام البخاري في صحيحه
ولفظه حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال اخبرني سعيد
ابن المسيب وعروة بن الزبير في رجال من اهل العلم ان عائشة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي
قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم قالت فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة
ثم افاق فاشخص بصره الى السقف ثم قال اللهم الرفيق الاعلى قلت اذن لا يختارنا
وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا به قالت وكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم الرفيق الاعلى اه قال العارف الشعراني وورد في الحديث
أن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت امالك رسول تقدمه بين
يديك ليكون الناس على حذر منك قال نعم والله لي رسل كثيرة من الاعلال
والامراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر فاذا لم يتذكر من نزل به ذلك الموت
ولم يتب ولم يحصل الزاد ناديت عند قبض روحه الم اقدم اليك رسولا بعد رسول
ونذيرا بعد نذير فأنا الرسول ليس بعدي رسول وانا النذير ليس بعدي نذير قال وفي
الحديث ايضا انه ما من يوم تطلع شمسه ولا تغرب الا وملك ينادي يا أبناء الاربعين
هذا وقت اخذ الزاد أذهانكم حاضرة واعضاؤكم قوية شداد يا ابناء الخمسين قد دنا
الاخذ والحصاد يا ابناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن ردّ الجواب فما لكم من نصير
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ذكره ابن الجوزي رحمه الله قال وروى
أن الله تعالى ينظر في وجه الشيخ كل يوم خمس مرات فيقول يا ابن آدم كبر سنك ووهن
عظمك واقترب اجلك فاستحي مني كما استحي منك فاني استحي ان اعذب ذا شيبة *
قال وروى ان اول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام لما رجع من تقريب
قربان ولده الى ربه فشابت من لحيته شعرة واحدة فأعجب بها وكرهت لذلك سارة
فقالت له ازلها فأبى فنزل عليه ملك فقال السلام عليك يا ابراهيم ولم يكن اسمه قبل
ذلك الا ابرام فزاد الملك في اسمه الهاء والهاء في لغة السريانية للتعظيم والتفخيم

فاشتد فرح ابراهيم بذلك ثم اصبح وقد شابت لحيته كلها وفي الحديث من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة اه اى حيث نورها بمحاسن الاعمال غير مخالف لاوامره ونواهيه وانشد العارف الشعراني

رأيت الشيب من نذر المنايا * يذكرني بعمري قصير
تقول النفس غير لون هذا * عساك تطيب في عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمري * ولست مسودا وجه النذير

حفنا الله بألطافه * قال الامام القرطبي وسبب تخصيص قبض هذا الملك الارواح الخلائق ما روى الزهري ووهب بن منبه وغيرهما ان الله ارسل جبريل ليأتيه من تربة الارض فأتاها ليأخذ من تربتها فاستعاذت بالله من ذلك فأعاذها فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها فبعث عزرائيل فاستعاذت فلم يعذها وأخذ منها فقال له الرب تبارك وتعالى اما استعاذت بي منك قال نعم قال فهلا رحمتها كما رحمها صاحباك قال يارب طاعتك اوجب علي من رحمتي اياها قال الله عز وجل اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض ارواحهم فبكى وقال يارب انك تخلق من هذا الخلق أنبياء واصفياء ومرسلين وانك لم تخلق لهم خلقا اكره من الموت فاذا عرفوني ابغضوني وشتموني قال الله تعالى انى سأجعل للموت عللا واسبابا وامراضا ينسون الموت فيها ولا يذكرونك معها فخلق الله الاوجاع وفي القرطبي أيضا روى هذا الخبر عن ابن عباس قال رفعت تربة آدم من ستة ارضين واكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شئ لان فيها نار جهنم قال فلما اتى ملك الموت بالتربة قال له المولى اما استعاذت بي منك الحديث بلفظه وزاد فقالت الارض يارب خلقت السموات فلم تنقص منها شيئا فقال لها المولى وعزتي وجلالي لاعيدنهم اليك برحمتي وفاجرهم فقالت وعزتك رجلالك لا تتقن من عصاتك اه ان قلت ما سبق عن السيوطي في شفاء الصدور من ان سبب اتيانه خفية ما وقع له من موسى وخوفه من السب والشتم كما تقدم حيث كان يأتي الناس عيانا ينافي ما ذكر عن القرطبي من ان سبب ذلك بكاؤه حين سلطه على قبض الارواح قلت لا منافاة لان ما في كلام القرطبي وعد اخذا من قوله سأجعل ولا يلزم منه الوجود بالفعل بخلاف ما في الشفاء * واما ما جاء في حضور الملائكة بالروح وتبشير اهل السعادة عند القبض والارواح عند قدومها عليهم استخبارا عن اهل الدنيا من اهله واقاربه * قال العارف الشعراني

وكان

وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه يقول ان الاموات لتأتيهم أخبار الاحياء فما من
أحد له حميم أي قريب الا ويأتيه خبر أقاربه فان كان خيرا سر به وفرح وان
كان شرا عبس له وحزن وقال أيضا وكان أبو الدرداء يقول اللهم اني أعوذ بك
أن أعمل عملا أخزى به أمواتي * قال وكان ابن منبه يقول ان الله تعالى بنى
دارا في السماء السابعة يقال لها البيضاء تجتمع فيها ارواح المؤمنين فاذا مات الميت
من أهل الدنيا تلقته الارواح فيسألونه عن اخبار الدنيا كما يسأل الغائب اهله اذا قدم
من سفره عليهم رواه ابو نعيم قال وروى ان الاموات يسألون القادم عليهم عن أهل
البيت كلهم ما فعل فلان هل تزوج فلان او تزوجت فلانة ونحو ذلك اه وأما تبشير
أهل السعادة عند القبض قال العارف القطب الشعراني وروى عن محمد بن كعب
القرظي التابعي الجليل رضي الله عنه انه كان يقول اذا اجتمعت روح المؤمن في فيه
تريد الخروج جاءه ملك الموت فقال له السلام عليك يا ولي الله ان الله تعالى
يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قال وكان البراء بن عازب رضي الله عنه يقول في قوله
تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام هو تسليم ملك الموت على المؤمن حين يقبض روحه
فلا يقبض روحه حتى يعطيه الامان من العذاب بالسلام عليه قال وكان مجاهد
يقول ان المؤمن ليبشر عند طلوع روحه بصلاح ولده من بعده لتقر بذلك عينه (وأما
كيفية) حضور الملائكة للعروج بأرواح أهل السعادة وهم اهل الايمان بدليل
مقابلة بعدم العروج بروح الكافر في الرواية الواحدة فمن ذلك ما ذكره الامام
القرطبي والامام السبكي في شرحه على منظومة السيوطي وصاحب كنز الاسرار
والعارف الشعراني وحجة الاسلام الغزالي بروايات متحدة المعنى مع بعض اختلاف
في الالفاظ قال العارف الشعراني روى الحافظ ابو نعيم ان الملائكة ترفع الارواح
حتى يرفعوها بين يدي الله عز وجل فان كانت من اهل السعادة قال سيروا بها واروها
مقعدها من الجنة فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت فاذا غسل وكفن ردت
وادرجت بين كفنه وجسده فاذا حمل على النعش فانه يسمع كلام الناس من تكلم
بخير او تكلم بشر فاذا وصل الى المصلى وصلي عليه ودفن ردت فيه الروح وأقعد
ذا روح وجسد الى آخر ما ورد اه وقال الامام الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة
ان الملك اذا قبض النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه عليهما ثياب

حسنة ولها رائحة طيبة وادو ما في حرير من حرير الجنة وهي على قدر النحلة شخص
انسان ولم يفقد من عقله ولا علمه المكتسب في دار الدنيا شئ فيعرجون به في الهواء
فلا يزال يمر بالامم السابقة والقرون الخاليه كامثال الجراد المنتشر حتى يأتي الى سماء
الدنيا فيقرع الامين الباب فيقال للامين من انت فيقول انا اسماعيل وهذا
فلان باحسن اسمائه واحبها اليه فيقولون نعم الرجل كان وكانت عقيدته جازمة
غير شاك في شئ منها ثم ينتهي الى السماء الثانية فيقرع الباب فيقال من انت
فيقول مثل مقالته في الاولى فيقولون اهلا وسهلا كان محافظا على صلاته بجميع
فرائضها ثم ينتهي الى السماء الثالثة فيقرع الباب فيقال من انت فيقول مثل
مقالته الاولى والثانية فيقولون نعم الرجل فلان كان يراعي حق الله في ماله ولا
يمسك منه بشئ ثم يمضي فينتهي الى السماء الرابعة فيقرع الباب فيقال من انت
فيقول كما قال في الثالثة وما قبلها فيقال اهلا بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه
من ادران الرفث وحرام الطعام ثم ينتهي الى السماء الخامسة فيقرع الباب فيقال
له من انت فيقول كما قال في السموات قبلها فيقال مرحبا بالرجل الصالح والنفس
الطيبة كان كثير البر بوالديه ثم يمر الى السابعة فيقال له من انت فيقول كما مر فيقال
مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار بالاسحار ويتصدق في السر ويكفل الايتام ثم يمر
الى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال من انت فيقول كما قال قبل ذلك فيقال
اهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
ويكرم المساكين ويمر على كثير من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه حتى
ينتهي الى سدرة المنتهى فيقرع الباب فيقال له ويقول كما مر فيقال اهلا وسهلا
كان عمله خالصا لوجه الله عز وجل فيمر في بحر من نور ثم في بحر من ظلمة ثم في بحر من
نار ثم في بحر من ماء ثم في بحر من ثلج ثم في بحر من برد طول كل بحر الف عام ثم يخترق
الحجب المضروبة حول عرش الرحمن وهي ثمانون الف سرادق لكل سرادق ثمانون
الف شرافة على كل شرافة ثمانون الف قمر يهللون الله ويسبحونه لو برز منها قمر واحد
الى سماء الدنيا لادهش العقول فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء تلك
السرادقات ما هذه النفس التي جئتم بها فيقال فلان بن فلان فيقول الجليل جل
جلاله قربوه نعم العبد كنت يا عبدي فاذا جاء بين يديه الكريمتين ناقشه وعاتبه
على جميع اعماله حتى اذا ظن انه هلك عفا عنه اه‍ قال العارف الشعراني وقد

حكي عن يحيى بن اكثم انه رؤي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت كذا وكذا فقلت يا رب ما بهذا حدثنا عنك قال فماذا حدثت عني يا يحيى فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك وتعاليت انك قلت اني لأستحي أن أعذب شيبة شابت في الاسلام فقال صدقت وصدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل ولقد غفرت لك ورؤي محمد بن سابق في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه الكريمين وقال لي أنت الذي كنت تخلص كلامك حتى قال ما افصحه فلم سبحانك اني كنت اصفك فقال قل كما كنت تقول في دار الدنيا فقلت أبادهم الذي خلقهم واسكتهم الذي أنطقهم وسيوجدهم بعد ما اعدمهم وسيجمعهم بعد ما فرقهم فقال صدقت اذهب فقد غفرت لك اه وذكر الامام السبكي والسيوطي في شفاء الصدور وقال اخرج ابن منده من طريق مجاهد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا احتضر اي احضر أتاه ملك في أحسن صورة واطيب ريح فجلس عنده ليقبض روحه واتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة وكانا معه على بعد فيستخرج ملك الموت روحه من جسده رشحا فاذا صارت الى ملك الموت ابتدرها الملكان فاخذاها منه فحنطاها بحنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثم عرجا بها الى الجنة فتفتح ابواب السماء لها وتبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التي فتحت لها ابواب السماء وتسمى باحسن الاسماء التي كانت تسمى بها في الدنيا فيقال هذه روح فلان بن فلان فاذا صعد بها الى السماء شيعها مقربو كل سماء حتى توضع بين يدي الله عز وجل عند العرش فيخرج عملها في عليين فيقول الله للمقربين اشهدوا اني قد غفرت لصاحب هذا العمل ويختم كتابه فيرد في عليين فيقول الله عز وجل ردوا روح عبدي الى الارض فاني وعدتهم أن اردهم فيها فاذا وضع المؤمن في لحده تقول له الارض أنت كنت حبيبا الي وأنت على ظهري فكيف اذا صرت في بطني سأريك ما اصنع بك فيفسح له في قبره مد البصر ويفتح له باب عند رجليه الى الجنة فيقال له انظر ما أعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عند رأسه الى النار ويقال له انظر ما صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير

العين المبين شئ أحب اليه من قيام الساعة * وقال في كنز الاسرار وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تحضر فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس المطمئنة التي كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح من الله وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء و يستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهي الى السماء السابعة واذا كان الرجل السوء قالوا لها اخرجي ايتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانها لا تفتح لك ابواب السماء فترسل من السماء الى الارض فتصير الى الارض اعاذنا الله من ذلك بجاه سيد أنبيائه وقوله في الحديث حتى تنتهي الى السماء السابعة أي ثم تعود الى مشاهدة جسد صاحبها عند الغسل قبل الدفن كما في رواية اذا خرجت الروح صعد بها الى السماء فان كانت صالحة فتح لها حتى تسجد تحت العرش فيقول الله تبارك وتعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين وردوا روحه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فترجع الى الارض وترى غسل جسدها وفي بعض الروايات أنها تكون بيدها حتى يسوى على جسدها التراب فاذا سوى عليه التراب دخلت في جسدها لاجل السؤال والله أعلم ولا تنافي بين كونها تسجد تحت العرش كما في بعض الروايات وبين كونها توقف بين يدي الله تعالى لان ذلك يختلف باعتبار الاشخاص ولذلك قال العارف الشعراني قال الامام القرطبي ومن الناس من اذا انتهى الى الكرسي سمع النداء ردوه ومنهم من يرد من الحجب وانما يصل الى حضرة الله تعالى عارفوه أمدنا الله بامدادهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(الفصل الرابع) في بيان ما قيل في حقيقة الموت وبيان سبب شدة سكراته على الاحباب كالانبياء وعلامة خاتمة الخير وما جاء في معرفته للغاسلين والحاملين له وما جاء في بكاء السماء والارض عليه

(أمّا بيان ما قيل في حقيقته) ففيه طريقتان هل هو وجودي أو عدمي والذي قاله إمامنا الأشعري أنه وجودي وعرّفه أنه كيفية وجودية تضادّ الحياة فلا يعري الجسم الحيواني عنهما ولا يجتمعان فيه وليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال بحال وانتقال من دار إلى دار وقوله ليس بعدم محض ولا فناء صرف أي بذي عدم محض الخ وأما قوله إنما هو انقطاع أي ذو انقطاع وذو مفارقة وذو تبدل وذو انتقال وإنما احتيج إلى هذا لدفع التنافي الذي في ظاهر كلامه فإن قوله ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع الخ يشعر بأنه عدمي وينافي قوله كيفية وجودية ودليل هذا القول قوله تعالى خلق الموت والحياة والخلق الإيجاد وهذا يستلزم كونه وجوديا لأن الخلق معنى الإيجاد عليه وقيل إنه عدمي وخلق في الآية بمعنى قدّر وخلق الموت أي أنشأه وقيل إنه كناية عن الدنيا والآخرة وأمّا ما قاله الإمام السيوطي في شفاء الصدور قال أخرج ابن أبي الدنيا عن قتادة في قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة قال الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح * وقال مقاتل والكلبي خلق الموت في صورة كبش وخلق الحياة في صورة فرس لا تمرّ على شيء إلا أحيي * قال الإمام المذكور وبهذه الآثار عرف أن الموت جسم خلق في صورة كبش واتضح ما ورد في الحديث الصحيح من مجيء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيقف بين الجنة والنار ثم يقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكل شيء قد رآه هذا الموت فيذبح رأى أبو يعلى عن أنس كما يذبح الشاة اه فليس ذلك على سبيل الحقيقة بل باعتبار الأسباب والتمثيل فقد قال الأمير في حاشيته على عبد السلام بعد أن ذكر ما يتعلق بالموت وما كان الموت صفة لا ت ها في شرح المصنف رضي الله عنه من أنه معنى في كلمة ملك الموت أو تصويره بكبش والحياة فرس كله باعتبار الأسباب والتمثيل والوقف والتفويض في مثل هذه المقامات أولى اه (وأما بيان شدة سكراته وسهلها على أحبابه) قال في كنز الأسرار وفي الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعني على سكرات الموت وفي النسائي عن عائشة رضي الله عنها * قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعدما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي تفسير الثعلبي في معنى قوله تعالى وقيل من راق عن أنس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن العبد الصالح ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله لتسلم بعضها
على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة اه من كنز الاسرار
* وأما سبب شدته على الاحباب فلحكم تترتب على ذلك منها رفع درجاتهم ومنها
التكفير للذنوب اذا كانت عليه بقية لاجل أن يكون تلك الشدة مطهرا ومنها
الابتلاء والاختبار ولذلك قال الامام الشعراني في درر الغواص في فتاوى سيدي
علي الخواص * قال الشعراني قلت له ياسيدي ما اشد شيء من العذاب على العبد
قال أشد العذاب سلب الروح فقلت له ما ألذ النعيم * قال سلب النفس فقلت له ما
أكمل العلوم قال معرفة الحق فقلت له فما أفضل الاعمال قال الادب فقلت له فما
بداية الاسلام قال التسليم فقلت له فما بداية الايمان فقال الرضى فقلت له ما
علامة الراسخ في العلم فقال أن يزداد تمكينا عند السلب وذلك لانه مع الحق غائب
لا مع نفسه عجب ممن وجد اللذة في حال عمله وفقدها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة
وحضورا فقلت له ياسيدي فما وجه تعذيب المحبوب لحبيبه مع ان الحكمة تأبى ذلك
كما في قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فقال رضي الله عنه انما يبتلى المحب ويعذب من حيث كونه محبا وانما
ينعم من حيث كونه محبوبا كأهل الجنة ينعمون فيها من حيث كونهم محبوبين
لا محبين اذ المحب يقع له الامتحان ليتبين صدقه وكذبه عند نفسه فقلت له فما حال
الانبياء فقال قد جمع للانبياء بين البلاء والنعيم في دار الدنيا لكمالهم فبلاؤهم من
حيث كونهم محبين ونعيمهم من حيث كونهم محبوبين والله تعالى أعلم (وأما
بيان علامة خاتمة الخير قبل الموت حال الصحة) فهو توفيقه للعمل بالسنة على قدر الطاقة
* قال الامام القرطبي في التذكرة أخرج الترمذي والحاكم قال اذا أراد الله بعبد خيرا
استعمله قيل كيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت وأخرج أحمد والحاكم
عن عمرو بن عبد الحق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا
عسله قيل وما عسله يا رسول الله قال يوفق له عملا صالحا بين يدي أجله حتى ترضى
عنه جيرانه وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة مرفوعا اذا أراد الله بعبد خيرا بعث
قبل موته بعام ملكا يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحايينه فيقول الناس مات
فلان على خير أحايينه فاذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتهوع نفسه من الحرص على

أن تخرج فذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإذا أراد الله بعبد شرا قيض له
قبل موته بعام شيطانا يضله ويغويه حتى يموت على شر أحايينه فإذا حضر ورأى ما أعد
له جعل يتبلع نفسه كراهة أن تخرج فذلك كره لقاء الله فكره الله لقاءه * وأما علامة
خاتمة الخير عند خروج روحه فأمور منها عرق جبينه ومنها سيلان دموعه ومنها
انتشار منخريه ويدل له ما أخرجه الترمذي والحاكم وصححه ابن ماجه والبيهقي
في الشعب عن بريدة قال المؤمن يموت بعرق الجبين وأخرج الترمذي في نوادر
الأصول عن سلمان الفارسي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارقبوا
الميت عند موته ثلاثا إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهي رحمة
من الله قد نزلت به وإن غط غطيط البكر المخنوق واحمر لونه واربد شدقاه فهو عذاب من الله
قد حل به اهـ ذكره في شرح الصدور وقوله ذرفت في الحديث بمعنى سالت وقوله
انتشر أي الانتشار الانتفاخ وقوله غط الغطيط ترديد الصوت حيث لا يجد له
مساغا والبكر الفتي من الإبل بمنزلة الفتى الشاب من الناس وسبب عرق جبينه
إدراك الحياء من الله سبحانه وتعالى حيث كان مقصرا في جانب سيده * قال الإمام
السيوطي أخرج البيهقي في الشعب عن علقمة بن قيس أنه حضر ابن عم له وقد حضرته
الوفاة فمسح جبينه فإذا هو يرشح فقال الله أكبر حدثني ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال موت المؤمن برشح الجبين وما من مؤمن إلا وله ذنوب
يكافأ بها فيبقى عليه منه بقية يشدد عليه بها عند الموت وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي
عن علقمة أنه حضر ابن أخ له فلما حضر رأى احتضر فجعل يعرق جبينه فضحك فقيل
له ما يضحكك قال سمعت ابن مسعود يقول إن نفس المؤمن تخرج رشحا وإن نفس
الكافر أو الفاجر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار وإن المؤمن ليكون قد عمل
السيئات فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها وإن الكافر أو الفاجر ليكون قد عمل
الحسنة فيهون عليه عند الموت ليجزى بها * قال الإمام السيوطي قال بعض
العلماء إنما يعرق جبينه حياء من الله لما اقترف من مخالفته لأن ما سفل منه قد
مات وإنما بقيت الحياة في العينين والكافر في عمى عن هذا كله والموحد المعذب
في شغل عن هذا بالعذاب والله أعلم (وأما ما جاء من معرفة الميت للغاسل له
والحاملين له وطلب الاستعجال بالدفن وسماعه ما يقال فيه وما يقوله هو والجنازة
مارة به وما للمشيع من الأجر واختيار البقعة للدفن) قال في شرح الصدور أخرج

احمد وابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط والمروزي وابن منده عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يعرف من يغسله ويحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته وأخرج أبو الحسن بن البراء في كتاب الروضة بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يموت الا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله ان كان بشر بروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله وان كان بشر بنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وروحه في يد ملك ينظر الى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك وأخرج ابن أبي الدنيا عن بكر بن عبد الله المزني قال بلغني انه ما من ميت يموت الا وروحه في يد ملك الموت فهم يغسلونه ويكفنونه وهو يرى ما يصنع أهله فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل وفي رواية لابي داود عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في أهله من بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم وأخرج سفيان قال ان الميت يعرف كل شيء حتى انه ليناشد بالله غاسله الا خففت غسلي * قال ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك وأخرج عن حذيفة قال الروح بيد ملك وان الجسد ليغسل وان الملك ليمشي معه الى القبر فاذا سوي عليه سلك فيه فذلك حين يخاطب (واما طلب الاستعجال) فقد أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت يا ويلها اين تذهبون بي يسمع صوتها كل شيء ولو سمع الانسان لصعق وأخرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها اليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم وأخرج ابن أبي الدنيا في القبور عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطا الا تكلم بكلام يسمعه من شاء الله الا الثقلين الانس والجن يقول يا اخوتاه يا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي خلفت ما تركت لورثتي والديان يوم القيامة يخاصمني ويحاسبني وانتم تشيعوني وتدعوني اه من شفاء الصدور (واما ما جاء في فضل المشيعين له) فمن ذلك ما أخرجه ابن أبي الدنيا

فی کتاب العرائس أبی الحامد قال قرأت فی مسئلة داود ربه الهی ما جزاء من شیع الجنازة ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان تشیعه الملائکة یوم یموت واصلی علی روحه فی الارواح واخرج ابن عساکر من وجه آخر عن ابن مسعود رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم ان داود علیه السلام قال الهی ما جزاء من شیع میتا الی قبره ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان تشیعه ملائکتی ویصلی علی روحه فی الارواح اه وفی شرح العلامة الشیخ عبد الباقی علی خلیل روی البخاری من اتبع جنازة مسلم ایمانا واحتسابا وکان معها حتی یصلی علیها ویفرغ من دفنها فانه یرجع من الاجر بقیراطین کل قیراط مثل احد ومن صلی علیها ثم رجع قبل ان تدفن فانه یرجع بقیراط قال واختار البغوی هذه الروایة فی المصابیح قال مخرجه انکتة حسنة وهی التصریح بأن القیراطین عن الصلاة وحضور الدفن بخلاف لفظ مسلم فانه ربما یوهم منه ان القیراطین عن الدفن وواحد عن الصلاة ولفظها من شهد الجنازة حتی یصلی علیها فله قیراط ومن شهدها حتی تدفن فله قیراطان ولذلك قال العلامة الفاکهانی یحتمل عندی أن یکون له بالصلاة قیراط وشهود الدفن قیراطان واقتصر علیه العلامة التتائی فی شرح الرسالة قال العلامة عبد الباقی وهو متعقب والصواب الثانی فقط بدلیل خبر البخاری ثم قال العلامة أیضا والتمثیل بالقیراط یحتمل معنیین أحدهما لو کان هذا الحمل من ذهب أو فضة وتصدق به کان ثواب القیراط مثل ثوابه وقیل لو جعل هذا القیراط فی کفة والجبل فی کفة لکان مساویه قال العلامة المذکور بعد عزوه ذلك للفاکهانی والاول هو الذی علیه أکثر الشراح قاله الاجهوری وذکرهما أیضا علی خلیل انه لا یتوقف القیراط من حیث هو علی تعزیتها وعدة للاجر دون رعایة أهلها کما فی ابن العماد خلافا للقیروانی قال ابن العماد بل فیه صلة الحی والمیت کما نقل عن الامام ابن سیرین قال وله أجران فلا ینافی قوله خبر البخاری ایمانا واحتسابا لان صلة الحی یکون احتسابا أو مداراة لا لاجل دنیاه وکلاهما من عمل الآخرة اه عبد الباقی قلت وأیضا لما فیه من التودد الذی هو من افراد الصلة الذی حث علیه الشارع صلی الله علیه وسلم بقوله رأس العقل بعد الایمان التودد الی الناس ولما فیه من جبر خاطر الحی المطلوب بقوله صلی الله علیه وسلم ما عبد الله بشیء افضل من جبر الخواطر وهل یتوقف حصول قیراط الصلاة علی اتباعها من بیت المیت وترتیب القیراط الثانی علی الاول فمن لم یتبعها لکن صلی

عليها أو أشهدها حتى تدفن ولم يصل عليها لم يحصل له قيراط الصلاة في الأول ولا قيراط الدفن في الثاني * قال العلامة عبد الباقي نقلا عن الاجهوري ذكر لي بعض الفضلاء ان الجزولي صرح بتوقف قيراط الدفن على الصلاة وبه صرح الشافعية وقال ثم القيراط منسوب الى خمسة عشر قيراطا تتعلق بمؤن تجهيزه ودفنه لا الى أربعة وعشرين انظر ابن العماد قال الشارح المذكور قلت لكن الظاهر أن ما عدا قيراطي الصلاة والدفن لا يقال فيه مثل أحد ثوابا لعدم ورود خبر فيه فيما أعلم * قال العلامة الامير نقل الاجهوري عن ابن العماد الخمسة عشر قيراطا وهي تغميضه وتقبيله للقبلة وشد لحييه ونزع ثيابه ووضعه على السرير وتغسيله وتكفينه وحمله والمشي معه والصلاة عليه وحضور دفنه وحفر القبر ووضعه فيه وسده عليه واهالة التراب عليه قال وكاد هذا أن يكون تقولا في الغيب فالظاهر ان معنى القيراط هنا مجرد الحظ والنصيب وقال ايضا على قول الشيخ عبد الباقي والتمثيل فيه يحتمل المعنيين نقلا عن اللقاني قال لا حاجة الى هذا كله بل هو مجرد كناية عن عظم الاجر اه وفي الشيخ عبد الباقي قال فائدة من رأى جنازة فكبر ثلاثا وقال هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله اللهم زدنا ايمانا وتسليما كتب الله له بها عشر حسنات من يوم قالها الى يوم القيامة اه ولا فرق بين أن يقول ذلك جالسا أو قائما ويكره له قيام لها لاجل هذا القول أو خلافه من غير ارادة تشييع لها أو صلاة عليها قال العلامة الشيخ عبد الباقي وأما القيام للحي فواجب ان أدى تركه لقاطعة أو خوف أذى وحرام ان يحبه تكبرا وتجبرا على القائمين له ولم يخش ضرره ومكروه لمن يحبه اجلالا وتعظيما ولا يتكبر على القائمين له وجائز لمن يقوم اجلالا لمن لا يريده وهذا مذموم من غير معصوم ومندوب لاجل قادم من سفر أو ذي نعمة على الجالس أو ذي مصيبة ليعزي نقله ابن رشد ويوسف بن عمر على الرسالة اه قال العلامة الامير قوله وتعظيما أي لذاته وأما للعلم فمطلوب وأما لمن يحبه لدفع الازدراء والحقارة فجائز والتعظيم قدر زائد قرره شيخنا * وقوله وذي نعمة أي له عليه معروف قال شيخنا ولو لم يكن معه الآن اه ولا ينبغي اتباع الجنازة بنار فيكره ولو مع الطيب فهي كراهة تاسة وعلة ذلك انه فعل النصارى وفيه التفاؤل بأنه من أهلها والعياذ بالله تعالى ولا ينبغي نداء بمسجد أو بابه لاجل الميت وجاز الاعلام بصوت خفي للاستكثار من الصلاة عليه * قال الشيخ عبد الباقي بل هذا يقتضي ندبه لان وسيلة المطلوب

مطلوبة

مطلوبة لخبر لا يموت أحد من المسلمين فيصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة
فيشفعون له إلا شفعوا فيه بل في البخاري أي مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله
الجنة فقلنا وثلاثة يا رسول الله قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأل عن
الواحد اهـ قال وشرط الثناء من عدل خير صالح للتزكية وليس موجبا لذاته
حتى تشترط مطابقته للواقع كما زعمه بعضهم بل هو علامة على ما عند الله للعبد لإخبار
الصادق المصدوق قاله السيوطي * قال العلامة الأمير عليه قوله للتزكية يعني
أن هذا من قبيل التزكية ولا تقبل إلا ممن ذكر وليس هذا متفقا عليه فما نعم
خطاب من أثنيتم يعني للصحابة وهم عدول فيفيد اشتراط ذلك وقوله وليس أي الثناء
موجبا لذاته * قال العلامة الأمير لا معنى لذكر الإيجاب الذاتي هنا فالأولى
ولا يشترط مطابقته الخ نعم يؤخذ من كلام النووي اشتراط مطابقة القلب لأنه
جعل إطلاق القلوب والألسنة دليل إرادة الله به خيرا وإن لم يعرف به في الحياة من
قبيل إن الله أحب فلانا فأحبوه اهـ وجاز سبق مشيع لمحل الدفن لا لموضع
الصلاة عليها بخلاف الأولى وجاز جلوس قبل وضعها وكره ركوب مشيع لمحل صلاة
ودفن وجاز بعد الرجوع من الدفن وينبغي إسراع المشيع حاملا للميت أولا فأولا بلا جري
وجاز حمل غير أربعة فلا مزية لعدد على عدد على المشهور من مذهب مالك خلافا للقائل
باستحباب أربعة والبداءة بأي ناحية شاء * قال الشيخ عبد الباقي والحمل من باب
البر وقضاء الحق قال الشارح المذكور ولا ينافي عدم التعيين رواية ابن عساكر عن
معروف الخياط عن واثلة مرفوعا من حمل جوانب السرير الأربع غفر له أربعون
كبيرة قال لأنها في حمله بجوانبه الأربع بحسب ما سبق * قال العلامة الأمير
عليه قوله غفر له أربعون كبيرة لعله يوفق للتوبة أو يرجى محض العفو ببركة ذلك
والحديث ضعيف اهـ لكن لا يمنع ذلك العمل به في الفضائل لا سيما وهو من صنع المعروف
والصلة للميت وإعانته على بأسه فهو مندرج تحت أصل كلي وهو طلب النفع لأخيك
المسلم والإعانة كما تقدم ذلك عن المحقق المذكور في مثل ذلك عند التلقين قال
العلامة الشيخ عبد الباقي نقلا عن التتائي قال مالك لم يزل شأن الناس الازدحام
على حمل الرجل الصالح ولقد انكسر تحت سالم بن عبد الله نعشان وتحت عائشة
رضي الله عنها ثلاثة اهـ قال العلامة الأمير قوله الازدحام أي بحسب اللائق بشدة
الرغبة لا أن يعظم الضرر ولا ينبغي * قال العلامة المذكور قال السيد ومن البدع

السيئة ازدحامهم على النعش قال الحسن هم اخوان الشياطين يضربون الميت والاحياء وينافي الاسراع اه فحينئذ يحمل ذم هذا على عظم الضرر كما قاله العلامة المذكور في القولة الاخرى والا لتنافيا قال العلامة الشيخ عبد الباقي قال المناوى في طبقاته وارتجت الدنيا لموت أحمد بن حنبل واغلقت بغداد لشهوده ومسحت الارض المبسوطة التي وقف الناس عليها للصلاة في عصره فبيام الناس بالمساحة فوجدت ستمائة الف ذراع وكان يقول للمبتدعة بيننا وبينكم الجنائز واسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة آلاف اه قال الشارح المذكور وفي تهذيب الاسماء واللغات للنووى أمر المتوكل أن يقاس الموضع الذى وقف الناس للصلاة فيه على أحمد بن حنبل فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف ووقع الحزن على موته في اربعة أصناف المسلمين واليهود والنصارى والمجوس اه (وأما ما جاء في بكاء السماء والارض عليه واختيار البقعة للدفن) فمن ذلك ما أخرجه الترمذى وأبو نعيم وأبو يعلى وابن أبي الدنيا قال ما من انسان الا وله بابان في السماء باب يصعد عمله فيه وباب ينزل منه رزقه فاذا مات العبد المؤمن بكيا عليه واخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض هل تبكى السماء والارض على احد قال نعم انه ليس أحد من الخلائق الا له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن أغلق بابه من السماء الذى يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه فقد بكى عليه فاذا فقده مصلاه من الارض التي كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكى عليه وان قوم فرعون لم يكن لهم في الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى السماء منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وانظر هذه الرواية والتي قبلها فان هذه تفيد الاتحاد في الباب والتي قبلها تفيد التعدد فلعل ذلك يختلف باختلاف الاشخاص والا فليحرر ذلك واخرج عن محمد بن كعب قال ان الارض لتبكى من رجل وتبكى على رجل تبكى على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله وتبكى من رجل يعمل على ظهرها بمعصية الله تعالى قال الشيخ عبد الباقي على خليل (فائدة) قال صلى الله عليه وسلم لا غربة على المؤمن ما مات مؤمن بارض غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه فيها السماء والارض وقال أيضا في الحديث اذا مات في غير مولده قيس له في الجنة من موطنه الى منقطع اثره قال العلامة الامير عليه قوله لا غربة المقصود نفي أثر الغربة من الوحشة وفي البناني ذكر هذه الاحاديث

في ا رد عن ب حمد كان الحمات ولعمه سه قال الله فهذا الامر
ب السائ سـ سوال اع رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان قال وقوله
مسح برده وشحل هويه أن يرى دلك في ميره اه وسير البكا سمويه وبعده بلا
رفع صوت وقوله قول ح واه قسل بركة رأس نابع رشل سم أشعره مالم يكن
معه ذكره مع احد ح سابه بلا رفع صوت والا حرم لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله
السالقه ان را اسمه معه و تعاقال العارف الشعراني روى مسلم وابن ماجه مرفوعا
سح النائحة من قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من
جرب فقيل ان رأسها يقول يا ويله قال وفي رواية اخرى النوائح يجعلن يوم القيامة
صفين صف عن اليمين وصف عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة ثم يؤمر بهن الى النار قال الشيخ عبد الباقي وفي الرابعة فوقها
بالبكا قال العلامة الامير بلا عن الشافي الحرم الرفع العالي لا مطلق الصوت اه
وقد علمت أن محل عدم الحرمة عدم الصوت مالم يصاحبه قول قبيح وفي الحديث
ليس منا من حلق وخرق ورفع وشق أي حلق الشعر لاجل اظهار الحزن والخرق
هو خرق الثوب أي شقه ولا يعد ذلك ردة كما يعتقده بعض العوام ولذلك قال الشيخ
عبد الباقي وهو حرام فاسد وارا في ضرب الخدود والعلل الصياح في البكاء وقبح القول
والرا ... على سنة وطريقة المناه من اظهار الجزع وعدم الرضى والتسليم لفعل
العزيز الحكيم (تتمه) ومما يسعى التعزية وهي الحمل على الصبر بوعد الأجر
والدعاء للميت وللمصاب وفي الحديث عظم الله أجرك وأحسن عزاءك والاولى فيها أن
يكون في بيت المصاب وأما عند القبر وتسويته بالتراب فواسع في الدين لا في الادب
وقال اللخمي مكروه لكنه مستعمل اه عبد الباقي بلفظه وقوله والاولى أن يكون
في بيت المصاب لعل هذا بالنسبة لغير المستسبع والا كان الافضل التعزية عند القبر
اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث عزى أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع
الانصارية قال سيدي محمد الزرقاني على المواهب روى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم
حمل جنازة سعد بن المعوذين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت امه ونظرت
اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو
واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره ورش عليه الماء وقف ودعا
قال وذكر ابن سعد انها اول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار

اه وفي الحديث من عزى مصابا فله مثل أجره وفي الحديث أيضا ان الله يلبس الذي
عزاه لباس التقوى وفي رواية من عزى ثكلى اي فاقدة ولدها كسي بردا في الجنة
وتكون في كل ميت من أهل الايمان قال الشيخ عبد الباقي بخلاف التهاني
لا فرق بين الصغير والكبير حرا كان أو عبدا رجلا أو امرأة قال الشيخ عبد الباقي
وتعزي الكافر الجار لحق الجوار بنحو قول مالك يقول له قد بلغني ما أصاب
أسلافك ألحقه الله بكبار دينه وخيار ذوي ملته اه قال العلامة الامير ظاهر في المكلف قال
الشارح المذكور وتعقبه ابن عرفة لايهام التعظيم فانه يدعو له قال واعلم أن ألفاظ
التعزية ليس فيها حد معين اه وندب للمصاب استرجاع للآية والخبر عنه عليه
الصلاة والسلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه ويندب أن يقول عقب الاسترجاع اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي
خيرا منها كما دل عليه الحديث وفي أجرني ثلاث لغات مد الهمزة وكسر الجيم وسكون
الهمزة مع كسر الجيم أو ضمها وندب أيضا تهيئة طعام لأهله قال الشيخ عبد الباقي لخبر
عبد الله بن جعفر قال لما قدم خبر موت أبي قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل
جعفر طعاما وابعثوا به اليوم فقد جاءهم ما يشغلهم عنه اه قال الشيخ عبد الباقي محل
ذلك ما لم يجتمعوا للنياحة قال وانظر هل تستحب التعزية ولو بغير الموت في مطلق مصيبة
قال وهو الذي يفيده ظاهر الخبر بين المتقدمين ويندب حثو قريب من القبر التراب
بيديه جميعا ثلاثا قال الشيخ عبد الباقي يقول في الأولى منها خلقناكم وفي الثانية
وفيها نعيدكم وفي الثالثة ومنها نخرجكم تارة أخرى كما في الحديث قاله الشيخ سالم اه
(ومما يندب أن يدفن بجوار قوم صالحين) ففي شفاء الصدور أخرج أبو نعيم وابن منده
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفنوا موتاكم
وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء وأخرج
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات لأحدكم
الميت فأحسنوا كفنه وعجلوا انفاذ وصيته وأعمقوا له في قبره وباعدوه عن جار السوء
قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال هل ينفع في الدنيا قالوا
نعم قال كذلك ينفع في الآخرة وقوله في الحديث وأعمقوا له في قبره
مقتضى أنه أفضل من عدم الاعماق وبهذا أخذ الشافعي وبعضهم يقول
ان عدم الاعماق أفضل مستدلا بما أخرجه ابن سعد عن معاوية بن صالح

قال

قال لما حضر عمر بن عبد العزيز الموت أوصاهم فقال احفروا لي ولا تعمقوا
فإن خير الأرض أعلاها وشرها أسفلها وهذا أخذ مالك ولعله للقرب من
العبادة فإنه ورد سماعه للأذان والقرآن كما أبي ذكره وفي الشيخ عبد الباقي إذا تشاح
الورثة في دفنه في ملكه أو في مقابر المسلمين فالقول قول من طلب المقابر بخلاف
تشاححهم في تكفينه من تركته أو مال بعضهم فالقول لمن طلب التكفين من تركته
فإن الدفن في مقابر المسلمين أمر عرفي وكأنه أوصى به قلت يؤخذ من هذا أن من
أوصى بدفنه بمكان يعمل بوصيته كما إذا أوصى بمن يصلي عليه قاله الشيخ سالم اه قال
الشارح المذكور ويجوز له اتخاذ القبر قبل موته في ملكه لا في محبسة لأنه ليس له فيها
استحقاق إلا بالموت ولذلك حرم البنيان في الأرض الموقوفة للدفن صراحة أو إرصدت
له من غير تصريح ولذلك قال العلامة المذكور ووجب هدم ما حرم كقرافة مصر المحبسة
لدفن أموات المسلمين وإن لم يقصد به مباهاة وفي كلام الناس ما يقتضي الكراهة
والتحقيق ما صرح به من وجوب الهدم في الأرض الموقوفة في شرحه على الرسالة
موافقة للباجي والسراج نعم قال العلامة الأمير وفي الناس تبعا للحطاب أن التحويز اليسير
للتمييز جائز في الموقوفة وفي السيد استثناء قبة الإمام الشافعي لأنها في بيت أولاد ابن
عبد الحكم كما نقل ثم قال أقول الذي في خطط المقريزي أنها في تربة أولاد ابن عبد
الحكم نعم نقل العارف الشعراني عن السيوطي أن ما بني على قبور الصالحين لا يهدم
وقاسه على قوله صلى الله عليه وسلم سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر اه
والتمييز يكون بالبناء اليسير أو حجر أو خشبة لا نقش فيه يكره وإن بوهي به حرم وحرمه
بعضهم بالقرآن وإن لم يقصد المباهي لئلا يمتهن قال العلامة الأمير وفي الحطاب
التحريم في الكتابة على قبور الصالحين فانظره اه وأما البناء عليه وتبييضه وتحديبه
أو التحويز البناء حوله بأرض مملوكة له أو لغيره بإذنه أو موات ولو كان البناء كثيرا
في الأراضي المذكورة كقبة أو مدرسة وبيت لغير قصد مباهاة فلا يهدم كما أفتى به
ابن رشد وهو ظاهر المازري وصاحب المدخل وإن كان مكروها وقال ابن القصار
بالجواز من غير كراهة وظاهر اللخمي المنع وإن بوهي به حرم بالأراضي الثلاث
المذكورة اه عبد الباقي قال العلامة الأمير أكثر علمائهم في كراهة تطيين القبر حيث
كان من الجهة الفوقية الطاهرة ونقل ابن عاشر عن شيخه أنه يشمل تطيينه ظاهرا
وباطنا وعلة الكراهة ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم إذا طين لم يسمع صاحبه الأذان

ولا الدعاء ولا يسلم من يزوره كذا في البناني قال وفي النفس منه شيء فان الارواح
محلها افنية القبور من فوق اه والقبر حبس لا يمشى عليه قال الشيخ عبد الباقي
اي يكره حيث كان مسنما والطريق دونه والا جاز المشي عليه ولو بنعل كما قاله
ابن ناجي قال وظاهره ولو كانت النعل متنجسة وعن ابن ناجي يجوز الجلوس عليه
أي عند انتفاء القيدين المذكورين وما ورد من النهي عن الجلوس عليه محمول على
الجلوس لقضاء الحاجة ويحرم نبش القبر مدة ظن دوام شيء من عظام الميت فيه غير
عجب الذنب قال الشيخ المذكور فلا يجوز بناؤه دارا ولا حرثه لزراعة وانما يجوز نبشه
للدفن فيه حينئذ لعدم منافاته لكونه حبسا قال وقد سئلت عن تربة درست
وصارت طريقا منذ ثلاثين سنة ويريد شخص أن يبنيها ليسكنها فهل يجوز فاجبت
بانه لا يجوز أي يحرم قال في الاطراز سئل ابن عات عن مقبرة لها أربعون سنة
لم يدفن فيها هل يجوز جعلها مسكنا فاجاب بانها حبس قال العلامة الاجهوري
قال مالك الشأن موضع القبر لا يجوز بيعه ولا الانتفاع به قال الشيخ عبد الباقي ومثل جواز
نبشه اذا في نبشه لنقل الميت وقال العلامة الامير قال شيخنا المعتمد حرمة الدفن
بالمسجد الا لمصلحة او ضرورة ومثل المصلحة الامن من النبش ودعاء المصلين له اه تنبيه
ذكر الامام السيوطي في شفاء الصدور وكذا العارف الشعراني في مختصر التذكرة ما يفيد
فضل قرافة مصر على غيرها قال العارف الشعراني وروى ان كعب الاحبار لما وفد عليه
رجل من أهل مصر قال له الرجل هل لك من حاجة فقال نعم تراب من سفح المقطم
يعني جبل مصر قال الرجل يرحمك الله وما تريد به قال أضعه في قبري فقال له تقول
هذا وأنت بالمدينة وقد قيل في البقيع ما قيل قال انا نجد في الكتاب الاول انه
مقدس ما بين القصير الى اليحموم قال قال بعض العلماء وهذا اولا وانما عرضا
من الجبل الى نهر النيل فدخل في السفح كل ما قابله من مصر ثم قال العارف
المذكور قال علماؤنا وانما طلب الانبياء والصالحون الدفن في البقاع المباركة
زيادة في التقديس الحاصل من أعمالهم الصالحة والا فالبقاع لا تقدسهم الارض
المقدسة اه وقال الامام السيوطي أخرج ابن عساكر عن طريق ابن وهب عن حرملة
ابن عمران عن عمير بن ابي مدرك عن سفيان بن وهب الخولاني قال بينما نحن نسير مع
عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل اي المقطم ومعنا المقوقس يعني أمير مصر سابقا
قبل الاسلام فقال له يعني عمرو بن العاص يا مقوقس ما بال جبلكم هذا اقرع ليس عليه

نبات ولا شجر على نحو من حمال الشام قال ما أدري ولا كن الله أعلى أهله مهد السبل عن ذلك ولكنما تجد تحته ماهو خير من ذلك قال وما هو قال ليجد من تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامه لا حساب عليهم يعني انه يجد ذلك في كتبهم فقال عمرو اللهم اجعلني منهم قال حرمله رأيت أبا قبر عمرو بن العاص فيه وفيه قبر أبي بصره الغفاري وقبر عقبة ابن عامر اه من شرح الصدور وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(الباب الثاني فيما يتعلق بالميت بعد استقراره في القبر وفيه فصول جمسه)

(الفصل الاول في كيفية السؤال وعمومه وخصوصه وتعدده واتحاده وبيان من يسأل ومن لا يسأل) (اعلم) أن السؤال لا بد منه لكل من مات غير ما استثنى ولو لم يقبر وإن كان مصلوبا أو ملقى على وجه الارض وان لم نشاهد ذلك منه ما لم يرد اقباره والا فالسؤال محل الاستقرار قال الشيخ عبد الباقي عن التتائي وهل يسأل فيهما جميعا أو في الاولى فقط والاظهر انه ان وضع في الاولى على نية النقل فيجوز أن يسأل في الاولى فقط ويجوز أن يؤخر سؤاله حتى يدفن بالثانية قال العلامة الامير وقع له في هذه العبارة نص فاحش والذي في كلام ابن عمران كان وضعه في الاولى على نية النقل فالظاهر انه لا يسأل فيها والا جاز أن يسأل فيها وان تأخر اه قال الشيخ عبد الباقي ثم النقل بعد الدفن مستثنى من حرمة النبش قال وانظر ما طينته من أي التربتين لانه ورد في الخبر عن أبي هريره ما من أحد خلق من تربة الا اعيد فيها قال وينبغي أن تكون من التربتين جميعا ثم قال وانظر ما تربة ما كول السبع ونحوه أي من أي خلق قال العلامة الامير ولا معنى لهذا التدقيق في الغيبيات الملقى من مواقف المعقول ولعل حديث أبي هريره أعلى اه والدليل على ثبوت السؤال وكيفيته ما ذكره الامام البيضاوي مفسرا لقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن وقال تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية اه والتحقيق ان جاحده فاسق لا كافر لعدم الصراحة القرآنية فيه وان كان ظاهر الآية يفيده كما ذكره المفسر المذكور ويدل له

أيضا ما ذكره الامام القرطبي والسبكي في شرحه والسيوطي في شفاء الصدور بروايات متقاربة قال الامام القرطبي أخرج الامام أحمد وابو داود من طرق صحيحة عن البراء ابن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد يعني لم يلحد الى الآن فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع بصره فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء وان كنتم ترون غير ذلك فاذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها حتى ينتهوا بها الى سماء الدنيا فيستفتحون ليفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى تنتهي بها الى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه الى جسده فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان من هذا الذي بعث فيكم فيقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما عملك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له في الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقال له أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد أي تقول الملائكة له ذلك فيقول له من أنت فوجهك الذي يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح (وأما بيان صفتهما) فما جاء في صفتهما ما أخرجه أبو يعلى وابن أبي الدنيا من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله لملك الموت انطلق الى فلان فأتني به فاني قد جربته بالسراء

والصراط وحدانيته حيث أحب وأتى به لا أرعبه من هموم الدنيا وغمومها فذكر الحديث
بطوله الى أن قال ويبعث له ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد
القاصف وأنيابهما كالصياصي أي قرون البقر وأنفاسهما كاللهب يطآن
في أشعارهما والمراد بحراثه في الارض بين منكبي كل واحد مسيرة كذا وكذا قد نزعت
منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمن يقال لهما منكر ونكير في يد كل واحد منهما
مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وحده لا شريك له والاسلام ديني ومحمد نبيي هو خاتم النبيين فيقولون
له صدقت فيدفعان القبر فيوسعانه له من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله
ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه ثم يقولان له انظر فوقك فينظر فاذا هو مفتوح
الى الجنة فيقولان له هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوالذي نفس محمد بيده انه لتصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا
وذكر بقية الحديث قال العلامة الامير قال المصنف اللقاني ما في بعض الروايات من
انهما أسودان أزرقان أعينهما كقدور النحاس وبعض الروايات الاخرى كالبرق
وأصواتهما كالرعد اذا تكلما يخرج من أفواههما كاللهب بيد كل واحد منهما
مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت وبعض الروايات بيد أحدهما مرزبة
لو اجتمع أهل منى عليها لم يقلوها محمول على غير المؤمن أما هو فيرفقان به ويقولان له
اذا وفق للجواب نم نومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب الناس اليه قال أما
صورهما فظواهر الاحاديث انه يراهما عليها كل أحد اه وقال في محل آخر انما
سميا منكرا ونكيرا لانهما لا يشبهان خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق
الطير ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع جعلهما الله تذكرة للمؤمن
وهتكا للستر المنافق وهل هما للكافر والمؤمن أو هما للكافر فقط وأما أهل الايمان
فله مبشر وبشير قيل ومعهما ملك آخر يقال له ناكور ويجيء قبلهما ملك يقال له
رومان * قال العلامة الامير وحديثه قيل موضوع والصحيح أن منكرا ونكيرا
للمؤمن وغيره طائعا وعاصيا غير أنهما يأتيان للمؤمن الموفق مع رفق من غير قلق
وارعاج كما تقدم والله أعلم (وأما بيان ما قيل في تعدد السؤال واتحاده) فقيل
مرة قال العلامة الامير وهو ما قاله ابن ناجي والشاذلي وقيل ثلاث مرات كما يفيده
حديث أسماء انه يسأل ثلاثا وفي الخلال أن المؤمن يسأل سبعة أيام والكافر

اربعين صباحا قال ولم أقف على تعيين وقت السؤال في غير يوم الدفن قال وقال ابن
عبد البر في تمهيده الكافر لا يسأل وإنما يسأل المؤمن والمنافق لانتسابه للإسلام
في الظاهر والجمهور على خلافه * قال العلامة الامير المذكور ورأيت بخط سيدي
أحمد النفراوي ما نصه وجد بطرة المؤلف أن أحدهما يكون تحت رجليه والآخر عند
رأسه والذي باشر السؤال هو الواقف من جهة رجليه لأنه الذي هو قبالة وجهه
اه قال وانظر هل هو منكر أو نكير أو تارة وتارة إنما العلم عند الله تعالى اه وهل
هو بالعربية أو بالسريانية أو يختلف باختلاف المسؤولين وهو الصحيح كما يستفاد من
العلامة الامير بخلاف وترد الروح للنصف الأعلى فقط على الراجح وقيل للبدن ولذلك
قال العلامة الامير وقال ابن حجر الروح تعود للنصف الأعلى فقط على ظاهر الخبر
والسؤال يكون للروح مع البدن كما هو مذهب جمهور أهل السنة قال الشيخ السبكي
وحكمة تكرير السؤال على أحد الطرق أن فتنة القبر أشد فتنة تعرض على المؤمن
ومن عظم شدتها تكريرها سبعة أيام وله حكم أخر كتمحيص من ذنوبه إن كانت له ذنوب
فإنها تكفر أو رفع درجاته فإن الفتنة جعلت كرامة للمؤمن وإظهار المقامه وإيمانه
وإما إظهار السر فيه صلى الله عليه وسلم قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن
سفيان الثوري إذا سئل الميت من ربك تراءى له الشيطان في صورة ويشير إلى نفسه
أني أنا ربك قال الإمام الترمذي ويؤيده من الأخبار قوله صلى الله عليه وسلم عند
دفن الميت اللهم أجره من الشيطان فلو لم يكن للشيطان عليه هناك سبيل ما دعا
صلى الله عليه وسلم بذلك واتفقوا على أن السؤال خاص بالاعتقادات واختلفوا هل
هو عن كل الاعتقادات أو بعضها قال الإمام القرطبي اختلفت الأحاديث في كيفية
السؤال والجواب قال وذلك بحسب الأشخاص فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته
الخ اه فحينئذ لا تعارض بين الروايات واختلف في ملائكة السؤال هل هم
متعددون لكل إنسان أو اثنان فقط والراجح عدم التعدد ويسألان أهل كل الأرض
كما سبق في حال عزرائيل عند قبض الأرواح قال الإمام القرطبي فهما وإن كان لا عظم
جثتهما كبيرة فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة
واحدة بحيث يخيل لكل أحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله
من سماع جواب بقية الموتى (وأما بيان من يسأل ومن لا يسأل) اعلم أنه
قد استثنى ممن يموت طائفة لا يسألون قال الإمام الحافظ السيوطي في كتابه بشرى

الكثيث لها الحسب قد وردت الاحاديث ونصوص العلماء باستثناء جماعة من السؤال منهم الشهداء والصديقون والمرابطون وكذا الاطفال في أرجح القولين اه
ثم اعلم انها اتفق جمهور أهل السنة على عدم سؤال شهيد الحرب والسر في ذلك كونهم أحياء فلذلك لا يسألون وكذلك الرسل والانبياء لا يسألون أيضا على التحقيق وقيل بسؤال الرسل عن التبليغ * وأما غيرهم ممن تقدم من نحو مطعون ومبطون وغريق وميت الجمعة والمواظب على قراءة تبارك الملك او السجدة كل ليلة مما ورد النص فيهم بعدم سؤالهم ففيه خطر بعضهم فبعضهم يقول بعدم السؤال رأسا عملا بظواهر الاحاديث وبعضهم يقول المنفي سؤال التشديد ولذلك قال العلامة الامير على عبد السلام وذكر بعضهم ان الذي لا يسأل اصلا هو شهيد الحرب وأما الباقي فيسألون سؤالا خفيفا وبعضهم أبقى النصوص على ظواهرها اه مما ورد في ميت الجمعة قال العلامة الامير وتدخل بزوال الجمعة ولو لم يدفن الايوم السبت ما ذكره الحافظ في كتابه المقدم آنفا قال أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر وفي لفظ وفي الفتان وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم او مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الا وقي عذاب القبر وفتنة القبر ولقي الله وهو راض عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له * وأما ما ورد في قراءة سورة الملك فعدة أحاديث منها الحسن والصحيح لا سيما حديث الموطأ للامام مالك وهو مجمع على صحة ما فيه كما أفاده العارف الشعراني قال في كتابه المحمر وقراءة سورة تبارك ثم مواظبها لا يسأل قال لورود ذلك في عدة أحاديث صحيحة قال وكذلك قراءة الاخلاص في مرض الموت وكذا من مات بطنه لحديث أبي داود مرفوعا ان من قتله بطنه لم يعذب في قبره واحاديث الشهيد كثيرة منها كل من مات يفتن في قبره الا الشهيد المقتول في سبيل الله قال وروى النسائي وابن ماجه مرفوعا للشهيد عند الله ست خصال فذكر منها ويجار من عذاب القبر قال العارف المذكور وألحق بالشهيد في الأجر والثواب المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم وذات الجنب والطلق والحريق ومن قتل دون ماله أو دون دمه أو دون حرمة وغير ذلك مما وردت به الاخبار والآثار والله أعلم
(وأما ما جاء في كلام القبر للعبد اذا وضع فيه وما جاء في ضغطة القبر وان كان صالحا

وطلب الوقوف على القبر بعد الدفن تلا للدعاء بالتثبيت) فأما بيان ما ورد في كلام القبر للميت اذا وضع فيه فمن ذلك ما ذكره العارف الشعراني قال روى أن القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول يا ابن آدم ما غرك بي أما علمت اني بيت الظلمة اما تعلم اني بيت الحق فان كان مقلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارأيت ان كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر فاني أعود عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى رب العالمين رواه أبو احمد الحاكم رحمه الله قال العارف أيضا وكان عبيد بن عمير رضي الله عنه يقول يجعل الله للقبر لسانا ينطق به فيقول يا ابن آدم كيف نسيتني أما علمت اني بيت الاكلة وبيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة قال وكان احمد رضي الله تعالى عنه يقول ان الارض لتعجب ممن يمهد مضجعه للنوم وتقول يا ابن آدم الا تتذكر طول رقادك في جوفي وما بيني وبينك فراش انتهى قال وأنشد بعضهم

ضعوا خدي على لحدي ضعوه * ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه اكفانا رقاقا * وفي الرمل الصعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه اذا انقضت * صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه * على وجناته وانتقض فوه
وناداه الفلا هذا فلان * هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكمو وجاركم المفدى * تقادم عهده فنسيتموه

(وأما ما جاء في ضغطة القبر وهي ضمته) فمنه ما ذكره العارف قال وروى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سعد بن معاذ بن جبل لقد تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة ولقد ضم ضمة ثم فرج عنه وفي رواية عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقبر ضغطة لو نجا منها احد لنجا منها سعد بن معاذ وفي المواهب اللدنية وحضر جنازته سبعون الف ملك قال سيدي محمد الزرقاني شارحها ذكر السهيلي وابن عائذ عنه عليه الصلاة والسلام لقد نزل سبعون الف ملك شهدوا سعدا ما وطئوا الارض الا يومهم هذا قال وقوله تحرك له عرش الرحمن قال وفي رواية للشيخين واهتز له عرش الرحمن قال الامام النووي في شرح مسلم اختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا حصل به هذا ولا مانع

منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار ووافقه على ذلك الامام المازري وان العرش تحرك حقيقة لموته وقال آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول لقدوم روحه من غير تحرك للعرش وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته كما تقول العرب أظلمت الارض لموت فلان وقامت له القيامة قال وأما حمله على النعش فهو قول باطل لاضافة العرش الى الرحمن في روايات وقيل المراد باهتزاز العرش حملة العرش قال وعن البراء قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين قال سيدي محمد الزرقاني في شرحه لهذا ومقتضى وجود المناديل في الجنة انهم اذا أكلوا شيئا احتاجوا الى المناديل لمسح ما تعلق بأيديهم وأفواههم ولا يلزم انه كوسخ الدنيا بل حمل ذلك اكراما لهم حيث وجدوا في الجنة نظير ما الفوه في الدنيا قال هكذا قرره شيخنا حافظ العصر اهـ وفي الامام القسطلاني على البخاري شرحا لهذا الحديث وفي هذا الحديث اشارة الى عظم منزلة سعد في الجنة وان ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان المناديل أدنى الثياب لانه معدّ للوسخ والامتهان وغيره أفضل اهـ قال سيدي محمد الزرقاني وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قال وأخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه وقال الحمد لله لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه قال وقوله في الحديث سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا مع كونه ضم قال وقوله حتى عرف ذلك في وجهه أي التعجب المدلول عليه بالتسبيح وقوله بعد ان الحمد لله أي شكرا لله على تفريجه عن سعد قال وقوله لو نجا منها احد الخ لا ترد فاطمة ام علي رضي الله عنهما لان نجاتها بسبب اضطجاعه صلى الله عليه وسلم في قبرها ولا قارئ الاخلاص في مرض موته لان نجاته بسبب هو القراءة والمنفي لم يأخذ بها بلا سبب أو هي خصوصيات لا تنقض الامور الكلية قال قال الحاكم

الترمذي سبب هذه الضمة انه ما من احد الا وقد الم بخطيئة ما وان كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاءله ثم تدركه الرحمة ولهذا ضغطة سعد للتقصير في البول فاما الانبياء فلاضم ولاسؤال لعصمتهم اه ما نقله الامام الزرقاني في الشرح المذكور قلت ويرد على هذا التعليل الاخير أنه ورد عنه صلى الله عليه وسلم ما عفي لاحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت أسد فقيل يارسول الله ولا ابنك القاسم قال ولا ابراهيم الذي هو اصغرهما وحينئذ فلا تتوقف ضغطة القبر على انه ألم بخطيئة الا حسين الجواب الثاني في المستثنى بانها خصوصيات لاتنقض الامور الكلية لاسيما ومثل سعد لايظن فيه تقصير في البول يؤدي الى فساد في عبادته أو مكروه ويؤيد هذا انه قد ورد ان ضمها المؤمن الكامل ضمة شفقة ورأفة قال العارف الشعراني في مختصر التذكرة (فائدة) لاينجو من ضمة القبر احد الا اربعة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت اسد والانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن قرأ قل هو الله أحد في مرضه ولو مرة واحدة قال العارف اه احمد القاري قال العارف أيضا وروى الحافظ ابونعيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شيع جنازة فاطمة بنت اسد وكان مرة يحمل ومرة يتقدم ثم نزل قبرها ونزع قميصه صلى الله عليه وسلم وتمعك في لحدها ثم خرج فسألوه عن نزع قميصه وتمعكه في لحدها فقال اردت ان لاتمسها النار أبدا ان شاء الله وان يوسع عليها قبرها ويؤخذ مما تقدم من الاستثناء وغيره ان تلك الضمة لاتستدعي سبق ذنب والا لما حصلت للاصفياء ويدل على ذلك حصولها للولد به صلى الله عليه وسلم ابراهيم والقاسم لما روى ما عفي لاحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت اسد فقيل يارسول الله ولا ابنك القاسم قال ولا ابراهيم الذي هو اصغرهما قال وروى مرفوعا ان العبد اذا وضع في قبره قال اهله واسيداه واميراه واشريفاه قال له الملك اسمع ما يقولون أكنت سيدا أكنت اميرا أكنت شريفا فيقول الميت ليتهم سكتوا عني قال فيضغطه القبر ضغطة تختلف فيها اضلاعه أعاذنا الله من ذلك اه (وأما دليل طلب الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن للدعاء للميت تثبيتا) قال العارف روى مسلم وغيره أن عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة قال اذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر الجزور اي من الابل ويقسم لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي قال العارف قال الحافظ ابو بكر رحمه الله تعالى ويكون الدعاء للميت بعد الدفن بالتثبيت والانسان مستقبل

وسمع الميت ويقول الداعي اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه الا خيرا وقد اجلسته لمسألة وسألتك اللهم أن تثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا اللهم ارحمه والحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا اجره قال العارف وكان شيبة بن أبي شيبة يقول أوصتني امي عند موتها ان اقيم عند قبرها بعد دفنها وأقول يا ام شيبة قولي لا اله الا الله ثم انصرف فلما كان الليل رأيتها في المنام تقول لي يا بني كدت اهلك لولا أدركتني بلا اله الا الله فاذا حضر احدكم ايها الاخوان دفن اخيه المسلم فليقل له بعد تسويه التراب عليه يا فلان قل الله ربي والاسلام ديني ومحمد رسولي ولا يتعلل احدكم بقوله لا اعرف اسم الميت فان هذه كلمات سهل حفظها على كل احد فصلاعن غيره والحمد لله على ذلك اه قال العارف المذكور وينبغي لاهل الميت أن يكون همهم على ميتهم ماقدم عليه من الاهوال فان الله تعالى يثيبه عليه وأما الصياح والبكاء وتمزيق الثياب واظهار التحزن والامتناع من الاكل والشرب فهو معدود من خفة العقل والا عاق يسأل الله العافية (تنبيه) التحقيق سؤال الجن وكافرهم اتفقوا على انه معذب في الآخرة وأما مؤمنهم فقال أبو حنيفة انه لا يثاب الا بالنجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا كالبهائم وقال مالك والشافعي يثابون بالجنة ويسمعون فيها شهادة قوله صلى الله عليه وسلم لهم ما الماء وعلمهم ماعلمنا وقول الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان بعد قوله يا معشر الجن والانس الخ ويعاقبون على المعصية وسيأتي ان شاء الله بيان جمعتهم

(الفصل الثاني فيما يفعله لنفسه في صحته وبعد موته الحي لاجله مما يكون سببا للتثبيت وتخفيف الاهوال) اعلم أن الذي ينبغي أن يفعله لنفسه مما يكون سببا لذلك امور كثيرة فمنها ماذكره العلامة الامير في حاشيته على عبد السلام نقلا عن السنوسي ركعتان ليلة الجمعة بعد المغرب يقرأ الفاتحة وسورة الزلزلة في كل ركعة خمس عشرة مرة من غير تكرير الفاتحة قال فان ذلك يكون سببا للتثبيت ودفع العقبات قال العلامة الامير المذكور ومن غروب الجمعة يدخل الموكب الالهي قال الشعراني أوله الثلث الاخير الا ليلة الجمعة فمن الغروب ثم قال العلامة واعلم أن العمل للثواب محمود حدا حيث قصد عبادة الحق في نزله يعني لعده من حضرة الاطلاق الى حضرة التقييد مع أن أفعاله لا تعلل وعطاياه ليست لغرض فالادب النزل لما رغب فيه فلا تكون العبادة حينئذ للثواب بل صار ملاحظة الثواب عبادة ثانية مع أن وصفك الحق

الفقر والاحتياج الى ما كان من سيدك والمذموم الالتفات لغرض نفسي اهـ قلت ومقصد العلامة بذلك التقوية والميل الى ماقاله الامام النووي وان ذلك من المقاصد العالية دفعا لما يتوهم من جعله من أدنى المراتب الثلاثة المذكورة عندهم ومنها ماذكره الامام اليافعي في روض الرياحين عن شقيق البلخي رضي الله عنه قال طلبنا خمسا فوجدناها في خمسة طلبنا ترك الذنوب فوجدناه في صلاة الضحى وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا العبور على الصراط فوجدناه في الصوم والصدق وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة انتهى ومع ذلك اذا وفق لهذا ينبغي له أن يزداد خوفا وحزنا على تقصيره كما هو شأن الكمل المؤمنين قال العارف الشعراني في كتاب العهود وكان الامام أبو حنيفة مع قيامه ليله كله ينشد ويقول

كفا حزنا ان لا حياة هنيئة * ولا عمل يرضى به الله صالح

ومنها ماذكره الامام السبكي قال أخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الشخير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه على الصراط (فائدة) قال الامام السبكي أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفي رواية يحيي ويميت في يومه مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي وقد جمع الامام السيوطي عدة خصال ورد الحث من الشارع عليها طلبا في صورة خبر بقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد ختم على عمله الا عشرة خصال ناظما لها بقوله

اذا مات ابن آدم ليس يجري * عليه من خصال غير عشر
* علوم بثها ودعاء نجل * وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر * وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي * اليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم * فخذها من أحاديث بحصر

ومن ذلك ماذكره الحافظ في كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب قال أخرج الديلمي

في مسند الفردوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادامات العالم صور الله علمه في قبره يونسه الى يوم القيامة ويدرأ عنه هوام الارض وأخرج الامام أحمد بن حنبل في الزهد عن كعب قال أوحى الله الى موسى عليه السلام تعلم العلم وعلمه الناس فاني منور لمعلم العلم ومعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم وأخرج ابن منده عن أبي كامل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف أذاه عن الناس كان حقا على الله ان يكفيه أذى القبر (فائدتان) الاولى ورد أن الموتى يقرؤن القرآن في قبورهم من ذلك ما ذكره الحافظ في كتابه بشرى الكئيب قال اخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال أبو القاسم السعدي في كتاب الافصاح هذا تصديق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الميت يقرأ في قبره فان عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن منده عن طلحة ابن عبيد الله قال أردت مالي بالغابة فادركني الليل فأويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت أرواحهم الى مكانها الذي كانت فيه انتهى وهذا يختلف باختلاف الاشخاص كما لا يخفى وتحقيقه ان شاء الله في فصل مستقر الارواح وهل القراءة خاصة في القبر والمصاحف نعم هو كذلك ودليله ما أخرجه الحافظ في كتابه المذكور قال أخرج ابن منده عن عكرمة قال يعطى المؤمن مصحفا يقرأ فيه قال وأخرج ابن منده عن ابي النضر النيسابوري الحفار وكان صالحا ورعا قال حفرت قبرا فانفتح في القبر قبر آخر فنظرت فيه فاذا أنا بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح جالس متربعا وفي حجره كتاب مكتوب بخضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ القرآن فنظر الشاب الي فقال أقامت الساعة قلت لا قال فأعد اللبنة الى موضعها فأعدتها الى موضعها قال ونقل السهيلي في دلائل النبوة عن بعض الصحابة انه حفر في مكان فانفتحت طاقة فاذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه

وأمامه روضة خضراء وذلك بأحد رعلم انه من الشهداء لانه رأى في صفحة وجهه جرحا وقال اليافعي أيضا روينا عن من حفر القبور من الثقات انه حفر قبرا فأشرف فيه على انسان جالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه وتحته نهر يجري فغشي عليه وأخرج من القبر ولم يدر ما أصابه فلم يبق الا في اليوم الثالث اهـ (الفائدة الثانية) في بيان ما ورد من تعليم الملائكة للمؤمن القرآن في قبره اذا مات قبل تعلمه قال الحافظ في كتابه المتقدم آنفا أخرج أبو الحسين في فوائده بسنده من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلمه في قبره ويلقى الله وقد استظهره قال وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن قال بلغني أن المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن أمر الله الحفظة أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه يوم القيامة مع اهله قال وأخرج ابن أبي الدنيا عن يزيد الرقاشي قال بلغني ان المؤمن اذا مات وبقي عليه من القرآن شيء لم يتعلمه بعث الله ملائكة يحفظونه ما بقي عليه منه حتى يبعث من قبره اهـ جعلنا الله في زمرة العاملين من أهله ان قلت هل يثابون على تلك القراءة الكائنة في قبورهم الجواب نعم ويؤيده ما أفاده القطب الشعراني في كتابه الجواهر والدرر قال سألت شيخنا الخواص رضي الله عنه عن صلاة ثابت البناني أو غيره في قبره كما ذكروه في طبقات الاولياء هل يثاب عليها كما يثاب على ما كان من اعماله قبل الموت فقال نعم لكن بحكم خرق العادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الحديث فالبرزخ معدود في حق مثل هؤلاء من جملة وقت التكليف بل قال بعضهم ان وقت التكليف باق حتى يسجد أهل الاعراف سجدة يرجح بها ميزانهم ثم يدخلون الجنة قال فلولا أن تلك السجدة في زمن التكليف ما أغنت عنهم شيئا والله أعلم فقلت له فهل يتوضئون في قبورهم لذلك فقال لا حاجة لهم الى وضوء لعدم وقوع الحدث منهم فقلت فهل يؤذنون ويقيمون فقال نعم كما ورد في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقلت فهل يكتب لهم ثواب قضاء حوائج الناس اذا خرج شخص من قبره وقضى حوائج الناس فقال نعم يكتب له ثواب ذلك كحكم صلاتهم في البرزخ على حد سواء فقلت له هل الصورة التي تخرج من قبورهم صورة ملك أو صورة تنشأ من همتهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة فيهم فقال كل ذلك يكون فتارة يوكل الله تعالى بقبر ذلك الولي ملكا يقضي حوائج الناس كما وقع للامام الشافعي وسيدي

احد المدفون والسيدة نفيسة رضي الله عنهم وبارز ضريح الولي بعينه وقضى
الحاجة لأن للأولياء الإطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم فقلت له فهل حكم
الأنبياء كذلك قال نعم لكن من وقع له خطاب من قبري فذلك عن النبي لا مثال
له وأما إذا سمع خطابه من غير قبره فهو مثال لا حقيقة لأن ذات النبي منزهة عن كلفة
التجزي والتزاحم اه (وأما بيان ما ينفعه له الحي بعد الموت) فمن ذلك الدعاء له عند
الدفن بعد أن يسوى عليه التراب ويقول اللهم إنه نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا وراء
ظهره اللهم ثبت عند المسألة منطقه ولا تبتله في قبره بما لا طاقة له به وألحقه بجماعة
المؤمنين اه شفاء الصدور وورد في ذلك بعض روايات في هذا المعنى فلا تغفل وكذلك
الصدقة فلوصولها للميت باتفاق الأئمة ومنه إطعام الطعام للفقراء على ذمة الموتى ولذلك
قال الحافظ في كتابه بشرى الكئيب قال أخرج أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية عن
طاوس قال إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك
الأيام وكذلك قراءة القرآن ولا سيما يس لورود النص فيها بالخصوص وكذلك سورة
الملك قال القطب الشعراني في الجوهر المكنون وقد وقع لسيدنا الشيخ محمد بن عنان
المدفون بباب البحر من مصر المحروسة رضي الله عنه أنه سمع صياح إنسان يعذب
في قبره فجمع أصحابه وقرأ على قبره سورة تبارك فرفع الله عنه العذاب فلم يسمع له
صياح بعد ذلك قال وأخبرنا شيخنا المذكور أن ذلك المعذب كان كيالا يكيل للناس
نسأل الله العفو والعافية اه ومحل كراهة قراءة القرآن على القبر عند مالك إذا فعل
ذلك على اعتقاد السنية كما يأتي تحقيقه لك إن شاء الله في باب الزيارة وكذلك وضع
الجريد الأخضر ونحوه فإنه يخفف عن الميت جرائمه كما في حديث البخاري قال أخرج
أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بين
الناس بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله ودعا بعسيب رطب فشقه
بنصفين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا
قال في كنز الأسرار وقد أخرجه أبو داود والطيالسي أيضا ولفظه عن أبي بكرة قال
بينا أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رجل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صاحبي
هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأيكم يأتيني من هذا النخل بعسيب

فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته فكسرت من النخل عسيبا فأتيت به إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فشقه نصفين من أعلاه فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال
إنه يهون عليهما ما دام من بلولتهما شيء إنهما يعذبان في الغيبة والبول اه قلت
ولعل المراد بالغيبة في هذا الحديث ما يشمل النميمة لدخولها في تعريفها إذ ذكرك
أخاك بما يكره ولا شك أن السعي بين الناس على وجه الإفساد داخل في هذا عافانا
الله بألطافه (وينبغي أيضا أن يحسنوا كفنه بما يجوز شرعا لما ورد من تزاورهم في
قبورهم) من ذلك ما أفاده الحافظ الجلال قال أخرج الحارث بن أبي أسامة
في مسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا أكفان موتاكم
فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم قال أخرج الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا
والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم قال البيهقي بعد تخريجه
وهذا لا يخالف قول أبي بكر الصديق في الكفن إنما هو للمهلة يعني الصديد لأن ذلك
كذلك في رؤيتنا ويكون كما يشاء الله في علمه كما قال في الشهداء أحياء عند ربهم
يرزقون ونحن نراهم يتشحطون في الدماء ثم يتفتتون وإنما يكون كذلك في رؤيتنا
ولو كانوا في رؤيتنا كما أخبر الله عنهم لارتفع الإيمان بالغيب قال وأخرج ابن أبي الدنيا
بسند لا بأس به من مرسل راشد بن سعد أن رجلا توفيت امرأته فرأى نساء في المنام
ولم ير امرأته معهن فسألهن عنها يعني وكن من الأموات فقلن إنكم قصرتم في كفنها
فهي تستحي تخرج معنا فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انظر هل إلى ثقة من سبيل فأتى رجلا من الأنصار قد حضرته
الوفاة فأخبره فقال له الأنصاري إن كان أحد يبلغ الموتى بلغت فتوفي الأنصاري
فجاء بثوبين يعني الزوج مورسين بالزعفران فجعلهما في كفن الأنصاري فلما
كان الليل رأى النسوة ومعهن امرأته وعليها الثوبان الأصفران وأخرج
أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى قيل يا رسول الله وهل
يتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون وأخرج أيضا عن مجاهد قال إن الرجل ليبشر
بصلاح ولده في قبره قال ابن القيم الأرواح قسمان منعمة ومعذبة فأما المعذبة فهي
في شغل عن التزاور والتلاقي وأما المنعمة المرسلة المطلقة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور

وتشدا كما كان منها في الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فسكون كل روح مع رفيقها
الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى قال
الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهذه المعية ثابتة في دار
الدنيا وفي البرزخ وفي دار الجزاء والمرء مع من احب في هذه الدور الثلاث انتهى #
متعنا الله بلقائهم وجعلنا من المنظومين في عقد خدام اعتابهم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الفصل الثاني فيما يتعلق بالميت في القبر من نعيم دائم وتعذيب دائم ومنقطع)

اعلم ان القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار قال الحافظ الجلال
وهو أول منازل الآخرة قال اخرج البيهقي وابن ابي الدنيا عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قال واخرج
الترمذي مثله واخرج ابن منده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب أي يوسع له في قبره سبعون ذراعا وينور له
كالقمر ليلة البدر واخرج ابن منده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفسح للعرب في قبره كبعده عن اهله وفي بعض روايات الامام البخاري انه يفسح
له سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وللامام القرطبي في حديث البراء بن عازب مد البصر
وفي رواية للسيدة عائشة اربعون ذراعا قال القرطبي ولا تعارض بين هذه الروايات
لان هذا يختلف باختلاف الاشخاص باعتبار اعمالهم قال الامام القرطبي قال كعب
الاحبار اذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته اعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب
من قبل رجليه فيقول الصلاة اليكم عنه فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل
لكم عليه قد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا فيأتون من قبل جسمه فيقول الحج
والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لا سبيل لكم
عليه فيأتون من قبل يديه فيقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت
من هاتين اليدين حتى وقعت بين يدي الله تعالى ابتغاء وجهه ولا سبيل لكم عليه
قال فيقال هنيئا طبت حيا وميتا قال الامام المذكور أيضا قال بعض العارفين هذا
لمن اخلص لله في عمله وصدق الله في قوله وفعله واحسن نيته في سره وجهره فهو
الذي تكون اعماله حجة له ودافعة عنه ومن نعيم القبر أيضا فرشه قال الجلال في كتابه

بشرى الكئيب اخرج ابو جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم في تفاسيرهم وابو نعيم في الحلية
عن مجاهد في قوله تعالى فلا نعيمهم يعذبون قال في القبر واخرج ابن المنذر عن مجاهد
في الآية قال يعذبون المصالح انتهى واما التعذيب الدائم فللكافرين والمنافقين
قال القطب الشعراني روى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال كان الناس
يشكون في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون الاول اشارة الى عذاب القبر وتعلمون الثاني
اشارة الى عذاب القيامة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون فيمن
انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قالوا الله ورسوله أعلم
قال هي عذاب الكافر في القبر والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون
تنينا اتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤس تنهش جسمه
وتخدشه الى يوم القيامة ويحشر من قبره الى الموقف أعمى وروى الحافظ الوائلي رحمه
الله عن ابن عمر قال بينما نحن نسير بجبانة بدر اذ خرج رجل من الارض في عنقه
سلسلة يمسك طرفها اسود فقال يا عبد الله اسقني فقال ابن عمر لا أدري أعرف اسمي
او كما يقول الانسان لاخيه يا عبد الله فقال لي بعض من معي لا تسقه فانه كافر ثم
اجتذبه فدخل الارض قال ابن عمر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته
فقال او قد رأيته ذاك عدو الله ابو جهل بن هشام وهو عذابه الى يوم القيامة انتهى
فتحصل مما سبق ان النعيم لا يكون الا دائما واما العذاب اما ان يكون دائما بنا وهو
عذاب الكفار وبعض العصاة او منقطع وهو لبعض العصاة ولذلك قال العلامة الدردير
في خريدته العذاب قسمان اما دائم وهو للكفار وبعض العصاة او منقطع وهو لبعض
العصاة ممن خفت جرائمه وانقطاعه اما بسبب كصدقة او دعاء او بلا سبب بل بمجرد
العفو والتعذيب للروح مع البدن ولو لم يقبر فالتعبير بالقبر جرى على الغالب قال
العلامة المذكور اذ لا مانع من ان يخلق الله تعالى في جميع الاجزاء او بعضها نوعا من
الحياة قدر ما يدرك الم العذاب ولذة النعيم وهذا لا يستلزم ان يتحرك او يضطرب
او يرى اثر العذاب عليه حتى ان من اكلته السباع او صلب في الهواء يعذب وان لم نطلع
على ذلك انتهى وقال في محل آخر ومن عذاب القبر ضغطته وهي التقاء حافتيه
حتى تختلف اضلاع الميت وتختلف باختلاف العمل حتى ان الصالح تضمه ضمة الام
الشفوقة على ولدها اه ويرتفع العذاب عن سائر الخلق ليلة الجمعة ولو كفارا ثم يعود

على الصحيح قال العلامة المناوي وقيل انه بعد ارتفاعه عن المؤمن ليلة الجمعة
لا يعود أبدا قال وحينئذ من مات قبل الجمعة بيوم لا يكون عذابه الا يوما وبه قال
بعضهم انتهى قلت وهو مردود بما أفاده الامام السيوطي حيث قال في شفاء الصدور
ان عدم العود لا دليل عليه فلم يرد في هذا حديث صحيح ولا حسن قلت وما قاله
الامام السيوطي هو في غاية الظهور لما تقدم لك من حديث البخاري ومسلم السابق
في الجريدتين بقوله لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وفي رواية لابي داود يهون عليهما
ما دام من بلولهما شيء وهذا التقييد منه صلى الله عليه وسلم ظاهر فيما قاله السيوطي
ولا يلتفت لغيره لا سيما في مجالس الجهلة المتجاهرين بالفسق والتعذيب يكون على
الفروع كما يكون على الاعتقادات ويدل عليه ما قاله الامام القرطبي قال روى
الطحاوي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله
عز وجل أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة
فامتلأ قبره عليه نارا أي من الواحدة فلما ارتفع عنه أفاق قال علام جلدتموني فقيل
انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره وقوله بغير طهور بضم الطاء
اي الفعل للوضوء والفتح الماء وحديث البول قال القطب الشعراني في مختصره قال
العلماء ويتفاوت أحوال العصاة في العذاب باختلاف معاصيهم كثرة وقلة قال روى
الشيخان ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان
في كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من
البول وفي رواية لمسلم لا يستنزه من البول وفي رواية لا يستتر من البول قال العلماء وفي
هذا الحديث دلالة على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب اذ لا يعذب
الانسان الا على ترك الواجب ثم قال العارف وكذلك ازالة جميع النجاسات قياسا
على البول قال العلامة الامير ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم استنزهوا من البول
فان عامة عذاب القبر منه محمول على قول بعض أصحابنا القائلين بسنية ازالة النجاسة
على بقاء البول داخل القصبة يؤدي لبطلان الوضوء بعد اه ثم قال المحقق المذكور
وفي بعض الكتب الالهية أوحى الله تعالى لبعض أنبيائه تذكرا لك ساكن القبر فان
ذلك يزهدك في كثير من الشهوات ومما يدل أيضا على التعذيب في القبر على الفروع
ما ذكره العارف في مختصره قال روى البيهقي وغيره في حديث الاسراء انه صلى الله
عليه وسلم مر ليلة أسري به على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت

لا يفتر عنهم شيء من ذلك قلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام في الضريع والزقوم ورضف جهنم يعني الحجارة المحماة فقال ما هؤلاء يا جبريل قال الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يزنون وعندهم النساء الحلال الطيبات فيأتي أحدهم المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك فقال يا جبريل من هؤلاء فقال خطباء الفتنة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جحر يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع فقال يا جبريل من هذا قال الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم بطونهم كأمثال البيوت كلما نهض أحدهم يقوم خر على وجهه والناس يطؤونهم وهم يعجون الى الله عز وجل قال يا جبريل من هؤلاء فقال هم الذين يأكلون الربا من امتك لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم مشافرهم كمشافر الابل فيفتح أفواههم ويلقمون الجمر ثم يخرج من أسفلهم وهم يعجون الى الله عز وجل فقال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء من امتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ثم مر صلى الله عليه وسلم على نساء متعلقات بثديهن وهن يعججن الى الله عز وجل فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الزناة من امتك ثم مر صلى الله عليه وسلم على قوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال لاحدهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الهمازون من امتك اللمازون وفي رواية لابي داود ثم مر بي صلى الله عليه وسلم بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم قال العارف اه ملفقا من عدة أحاديث (فائدة) قال العلامة القرطبي ومن التنعيم والتعذيب عرض مقعده عليه من الجنة أو النار غدوا وعشيا قال قال علماؤنا رحمهم الله لا يخفى

ان

ان عرض الاعمال نوع من التنعيم أو التعذيب وعندنا امثال في الدنيا وذلك كمن
عرض عليه العمل أو غيره من العذاب أو ما يتأذى به من غير أن يرى الآلة قال ويدل
له ما جاء في التنزيل في حق الكافر قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية
فأخبر تعالى ان الكافرين يعرضون على النار كما ان أهل السعادة يعرضون على الجنان
ويدل للعرض العام ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة
فمن أهل الجنة وان كان من اهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك
الله اليه يوم القيامة قال بعض العارفين هذا خاص بغير الشهداء اما هم فارواحهم
في الجنة كما في مسلم اه قلت لا مانع من العموم لما في بعض الروايات من رجوعها
الى اجسادها بعد سروحها في الجنة وذلك لا يمنع من العرض عملا بالحديثين وسيأتي
محله في مستقر الارواح ان شاء الله قال العلامة القرطبي وهل العرض لكل مؤمن
وقيل مخصوص بالمؤمن الكامل ومن أراد الله نجاته من النار وأما من انفذ الله عليه
وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فله مقعدان يراهما جميعا كما انه
يرى عمله شخصين في وقتين يرى احدهما قبيحا والآخر حسنا ويحتمل أن يراد باهل
الجنة كيفما كان ثم قال فان قلت هل ذلك العرض على الروح وحدها أو مع جزء من
البدن ثم قال قال بعض المحققين يحتمل أن يكون ذلك للروح مع جزء من البدن
ويحتمل أن يكون لها مع جميع البدن فترد اليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده
الملكان ويقال له انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة اه
قلت هذا الجواب لا يلاقي المستفهم عنه كل الملاقاة وذلك لان المستفهم عنه العرض
على الروح وحدها أو مع جزء من البدن ولكن ربما يقال لما كان العرض على التحقيق
نوع من التعذيب وكان القياس ان ذلك للروح مع الجسد كله على الصحيح لم يعبأ بالقول
بان العرض للروح فقط قياسا على القول الضعيف في كون التعذيب للروح فقط
غير ان قياس المحقق العرض فترد الروح لجميع البدن كما ترد عند المسألة خلاف
ما اعتمدوه من انها ترد عند المسألة للنصف الاعلى فقط وأما التعذيب فيكون للبدن
كله على التحقيق مع الروح ويدل له ما ذكره المحقق السبكي وكذا الحافظ السيوطي
وكذا المحقق القرطبي نفسه في محل آخر قال أخرج ابن منده عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لا تزال الخصومة بين الناس فتقول الروح للجسد انت فعلت ويقول

الجسد للروح اذا ماتت أمرت ان تسوقت فيبعث الله لهما ملكا يقضي بينهما فيقول لهما
ان مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير انى أرى
هنا ثمرة ولكن لا أصل اليها فقال الضرير اركبني فركبه فتناولها فأيهما المتعدى
فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك انكما قد حكمتما على أنفسكما اه ومعنى الحديث
ان الجسد للروح كالمطية وهي راكبة وهي تذل وتسوق لكن لا تصل الى ما تريد
الا بالجسد نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(الفصل الرابع في مستقر الارواح وما قيل فيها واختلاف محالها من سعيد وحلافه) (اعلم) أولا ان الروح قد كررت وجمعها الارواح وقد وقع اختلاف
كثير في حقيقة الروح والمختار الامساك عن الكلام فيها فانها سر من أسرار الله
تعالى لم يؤت علمه لبشر ولا لملك ولذلك قال الجنيد سيد الصوفية رضي الله عنه الروح
شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر
من انه موجود وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف ويدل له ما رواه الشيخان عن ابن
مسعود قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة وهو متكئ على عسيب
فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فسألوه
فقالوا يا محمد ما الروح فما زال متكئا على العسيب فظننت انه يوحى اليه فقال
ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا وذكر في
المواهب اللدنيه ان هذه الآية كانت سببا في اسلام عبد الله بن سلام حيث كان
علامة نبي آخر الزمان عندهم تفويض الامر الى الله تعالى في حقيقة الروح ووقت
الساعة فلما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك تلا الآيتين ويسألونك عن الروح
الخ ويسألونك عن الساعة الخ فأسلم وحسن اسلامه والى هذا الخلاف أشار
الامام البيضاوي في تفسيره بقوله وقيل انها مما استأثر الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان أجاب عنها
أو سكت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك
وقيل القرآن اه ولذلك قال ابن جرير لما نزلت هذه الآية قالت اليهود هكذا نجده
في كتبنا من ان الساعة أبهمها الله في القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها فهي

أي للمس الاطلاع على حقيقتها قال والوقوف عن ادراك حقيقة الروح كالوقوف عن ادراك سر القدر والقدر هو خلق الله أعمال العباد خيرها وشرها وايمانها وكفرها وطاعتها ومعصيتها لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ومن ثم قال رجل لعلي كرم الله وجهه أخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد له ذلك فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد فقال سر الله خفي عليك فلا تفتشه اه ومن ثم لم يجز لاحد الخوض فيه ولا البحث عنه لطريق العقل لما علمت من قصور دركه فلا يريد البحث عنه الا حيرة قال بعض العارفين ولعل الحكمة في ابهام الروح تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه فيضطروا الى رد العلم اليه سبحانه وقال الامام القرطبي لعل الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعرف حقيقة نفسه مع القطع بوجودها كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب أولى قلت ويؤيده ما ذكره بعض العارفين في قول النبي صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه على بعض التأويل فيه فانه يحتمل انه من باب التعليق وذلك انه علق معرفة الرب على معرفة النفس ومعرفة النفس غير ممكنة فيكون المعلق كذلك فكأنه يقول أنت لا تدري حقيقة نفسك وكيف تدري حقيقة من أوجدك ويحتمل أن المعنى فيه من عرف نفسه بالعجز والافتقار والحدوث عرف ربه بالاستغناء المطلق والقدم والدوام والاحتمال الاول أظهر في الأسد ولذلك المعنى قال الامام الغزالي ردا على الزمخشري حين سأله عن معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فأجابه كما هو طريقة السلف تفويض الامر مع التأويل الاجمالي ان الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة كما أجاب بذلك مالك حين سئل وطريق الخلف تفسير استوى باستولى بالقهر والغلبة كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

فان المعنى الحقيقي غير ممكن والتأويل لا يذمه خلفا وسلفا غير انه عند الخلف تفصيلي وعند السلف اجمالي ولذلك لما كان طلب الزمخشري من الغزالي التفصيل رد عليه بالتشنيع بقوله

قل لمن يفهم عني ما أقول * قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه * قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف اياك ولا * تدري من أنت ولا كيف الوصول

لا ولا تدری صفات رکبت * فیك حارت فی خفاياها العقول
أين منك الروح فی جوهرها * هل تراها فتری كيف تحول
وكذا الانفاس هل تحصرها * لا ولا تدری متی عنك تزول
أين منك العقل والفهم اذا * غلب النوم فقل لی يا جهول
انت اكل الخبز لا تعرفه * كيف يجری منك أم كيف تبول
فاذا كانت طوايائك التی * بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدری من علی العرش استوی * لا تقل كيف استوی كيف النزول
كيف يحكی الرب ام كيف يری * فلعمری ليس ذا الا فضول
فهو لا اين ولا كيف له * وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له * وهو فی كل النواحی لا يزول
جل ذاتا وصفات وسمی * وتعالی قدره عما تقول

وبعضهم ينسب هذه الابيات للامام المقدسی اهـ

وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها قال الامام النووی وأصح ما قيل فی ذلك قول امام الحرمين انها جسم لطيف مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر والی هذا الخلاف قال اللقانی

ولا تخض فی الروح اذ ما وردا * نص عن الشارع لكن وجدا
لمالك هی صورة كالجسد * فحسبك النص بهذا السند

وعلی المختار من التفويض هل علمها النبی صلی الله عليه وسلم أولا طريقتان والتحقيق انه صلی الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتی أعلمه الله بسائر المغيبات التی يليق علمها بالبشر وهل هی جسم أو عرض والذی عليه اكثر المحققين انها جسم لوصفها فی الآيات والاحاديث بالاعراض كالتوفی والقبض والامساك والارسال والتناول والاخراج والتنعيم والتعذيب والدخول والرجوع والرضی والانتقال والتردد فی البرزخ وانها تأكل وتشرب كارواح الشهداء وتسرح وتأوی وتنطلق الی غير ذلك مما هو من صفات الاجسام والعرض لا يتصف بهذه الصفات قلت وأيضا لا شك انها تعرف خالقها وتدرك المعقولات وهذه علوم والعلوم اعراض فلو كانت عرضا والعلم قائم به لزم قيام العرض بالعرض وهو باطل وهل الروح والنفس شیء واحد أو متغايران طريقتان والصحيح انهما شیء واحد ذاتا وتختلفان بالاعتبار بل والعقل

ايضا

أيضا على ما يستظهره بعضهم وهى من حيث الميل الى الكمال عقل ومن حيث ان بها حياة الجسم روح قال العلامة الامير وحاصله ان هذه اللطيفة ربانية لا يعلمها الا الله تعالى من حيث تفكرها عقل ومن حيث حياة الجسد بها روح ومن حيث شهوتها نفس فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار قال العلامة المذكور ولا يقال يلزم ان كل ذى روح عاقل لانه ليس الروح لذاتها عاقلا بل باعتبار ان معها كر اه ويدل لذلك قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك الآية ولا شك ان هذا خطاب للروح وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى الى غير ذلك وقال ابن عبد البر التغاير غير ظاهر قول الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال العلامة الجمل فى حاشيته التفسير اثبت ابن عباس أن فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما تعلق مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قاله البيضاوى قال المحشى الشيخ زاده على البيضاوى ليس فى ابن آدم الا شئ واحد هو الجوهر المشرق النورانى يكون لابن ادم بحسبه ثلاثة أحوال حال يقظة وحال نوم وحال موت فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان وباطنه تعلقا كاملا تثبت له حالة اليقظة وباعتبار تعلقه بباطن الانسان فقط تثبت له حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن تثبت له حالة الموت ويكون معنى الآية حينئذ الله يتوفى الانفس اى الارواح اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها ظاهرا وباطنا عنها وذلك عند الموت وظاهرا لا باطنا وذلك عند النوم فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وللعلامة القرطبى فى تفسيره قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله فاذا اراد جميعها الرجوع الى الاجساد امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله ان تتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى اى يعيدها قال على رضى الله تعالى عنه فما رأته نفس النائم وهى فى السماء قبل ارسالها الى جسدها فهى الرؤيا الصادقة وما رأته بعد ارسالها وقبل

استقرارها في جسدها فهي الرؤيا الكاذبة لانها من القاء الشيطان وروى مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل يارسول الله أينام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت والجنة لاموت فيها أخرجه الدارقطني اه جل واجمعوا على أن الروح محدثة مخلوقة والقول الصحيح تقدمها على الجسد ومقابله لا يلتفت اليه واتفقوا على بقائها بعد الموت وعدم فنائها فهي من المستثنيات كالحور والولدان ومالك ورضوان قال بعض العارفين ويؤخذ لها صورة من بدنها تتميز بها عن غيرها ولذلك تتصف بالاتصال والانفصال والصعود والنزول وغير ذلك من الاعراض واختصاص كل نوع تميل الى بعضها وتمرعن مخالفها ولذلك ترى كل ذي شكل في الحياة يميل الى نوعه وشكله قال الشيخ السبكي أخرج الطيالسي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهم فلما هاجرت الى المدينة قدمت على فقات ابن نزات قلت على فلانة كانت تضحك بالمدينة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فقال فلانة المضحكة عندكم قلت نعم قال على من نزلت قلت على فلانة المضحكة فقال الحمد لله ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قيل في معنى الحديث ان الارواح في عالم الذر حين الخطاب بألست بربكم من كان منها متسابقا اذ ذاك ائتلف في عالم الظهور ومن تأخر كان متدابرا في وقت الخطاب اختلف في عالم الظهور وقيل غير ذلك قال العلامة الامير نقلا عن اليواقيت والاقبال بالوجه غاية في المودة وعكسه الظهور وما يحسب بين ذلك وذلك يوم ألست بربكم ويكشف لكثير عن ذلك كسهل بن عبد الله حتى انهم يعرفون تلامذتهم اذ ذاك قال بعضهم أعرف من كان عن يميني اذ ذاك ومن كان عن يساري ويلاحظونهم في ظهور الآباء وأرحام الامهات والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (وأما مقرها بعد الموت فهي متفاوتة فيه) فمنها أرواح في اعلى عليين في الملأ الاعلى وهم الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وهم متفاوتون في منازلهم كما شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة الاسراء ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فان بعضهم قد يحبس عن دخول الجنة بسبب دين أوغيره حتى يقضى عنه ومنها أرواح السعداء من المؤمنين غير الشهداء وقد اختلف فيها على أقوال أحدها انها على افنية القبور قال ابن العربي وهو اصح ماذهب اليه قال والمعنى عندي انها قد تكون على افنية

القبور لانها تدوم ولا تفارق بل هي كما قال مالك تسرح حيث شاءت وتقدم لك عند التنبيه على كراهة تطيين القبر عن العلامة الامير انها تأمنة القبور من فوق فاطره ثم اعلم انه قد وردت عدة أحاديث يفيد اختلاف محل ارواح الشهداء فمنها ما يفيد أنها تكون في حواصل طير ودلك كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في انهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى قناديل تحت العرش قال الحافظ وفي روايه لاحمد وابي داود جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمرها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفي روايه لاحمد ايضا بسند حسن الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية وأخرج البخاري عن انس أن حارثة لما قتل قالت امه يارسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فان يكن في الجنة اصبر وان يكن غير ذلك ترى ما اصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها جنان كثيرة وانه في الفردوس الاعلى (وأما ما ورد في مطلق ارواح المؤمنين) فمن ذلك ما اخرجه الامام مالك في الموطأ واحمد والنسائي بسند صحيح عن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه قال الحافظ أيضا واخرج احمد والطبراني بسند حسن عن ام هانئ انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم انزور اذا متنا ويرى بعضنا بعضا فقال صلى الله عليه وسلم تكون النسمة طيرا يعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها قال واخرج الطبراني في مسنده قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين فقال في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يارسول الله وأرواح الكفار قال محبوسة في سجين قال وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات والبيهقي في البعث عن سعيد بن المسيب ان سلمان الفارسي وعبد الله ابن سلام التقيا فقال أحدهما لصاحبه ان لقيت ربك قبلي فأخبرني ماذا لقيت فقال أويلقى الاحياء الاموات قال نعم أما المؤمنون فان ارواحهم في الجنة وهي تذهب حيث شاءت قال وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن عبد الله بن عمرو قال أرواح المؤمنين في طير كالزرازير يأكل من شجر الجنة قال وأخرج ابن المبارك في الزهد عن ابن عمرو قال أرواح المسلمين في صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الارض

السابعة ومنها ما ورد من كونها في السماء وبذلك استشهد القائل بعموم كون الارواح في السماء قال واخرج ابونعيم بسند ضعيف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون الى منازلهم في الجنة قال أيضا واخرج ابونعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال ان لله في السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الارواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله اذا قدم عليهم قال واخرج المروزي في الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال ترفع أرواح المؤمنين الى جبريل فيقال أنت ولي هذه الى يوم القيامة وفي بعض الروايات ما يفيد انها تكون بالارض فمن ذلك ما قاله الحافظ المذكور قال أخرج ابن المبارك في الزهد عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تسرح حيث شاءت ونفس الكافر في سجين قال الامام ابن القيم البرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد في ارض بين الدنيا والآخرة قال وأخرج المروزي في الجنائز وابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عمرو قال أرواح المؤمنين في بئر زمزم وأرواح الكفار في واد يقال له برهوت وبرهوت سبخة بحضرموت وفي بعض روايات أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية قال وأخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو قال أرواح المسلمين تجتمع باريحاء وهي بلدة بالشام وأرواح اهل الشرك تجتمع بصنعاء قال وأخرج العقيلي عن كعب قال الخضر على منبر من نور بين البحر الاعلى والبحر الاسفل وقد امرت دواب البحر ان تسمع له وتطيع وتعرض عليه الارواح غدوة وعشية قال الحافظ المحقق هذا مجموع ما وقفنا عليه من الاحاديث والآثار في مقر الارواح وقد اختلفت أقوال العلماء فيه بحسب اختلاف هذه الآثار قال قال ابن القيم والتحقيق الذي لا اختلاف فيه ان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الادلة فان كلا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم قال وعلى كل تقدير فللروح بالبدن اتصال بحيث يصح أن تخاطب ويسلم عليها وبعرض عليها مقعدها وغير ذلك مما ورد فان للروح شانا آخر فتكون في الرفيق الاعلى وهي متصلة بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها ردت عليه السلام وهي في مكانها هناك وانما يأتي هنا الغلط من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التي اذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم

ليلة الإسراء موسى قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك
في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من سلم عليه وهو
في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل
ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض وقد قال صلى الله عليه وسلم من
صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً أبلغته هذا مع القطع بأن روحه في أعلى
عليين مع أرواح الأنبياء وهو الرفيق الأعلى وبهذا يعلم أنه لا منافاة بين كون الروح
في عليين أو الجنة أو السماء وأن لها بالبدن اتصالاً بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ
وإنما تستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشابه هذا وأمور البرزخ
والآخرة على نمط غير المألوف في الدنيا إلى أن قال والحاصل أنه ليس للأرواح
سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها لها اتصال
بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم وضده ما كتب له انتهى ابن القيم وقال
الحافظ ابن حجر أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها
اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا بل أشبه شيء به حال النائم وإن كان
هو أشد من حال النائم اتصالاً قال وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين أو سجين
وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية قبورها ومع ذلك فهي مأذون لها
في التصرف وتأوي إلى محلها من عليين أو سجين قال وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر
فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الأجزاء وقال صاحب الإفصاح المنعم
من الأرواح على جهات مختلفة منها ما هو طائر في شجر الجنة ومنها ما هو في حواصل
طير خضر ومنها ما هو في حواصل طير بيض ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير ومنها
ما هو في أشخاص من صور من صور الجنة ومنها ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم
ومنها ما تأوي إلى قناديل تحت العرش ومنها ما تسرح وتتردد إلى جثثها تزورها ومنها
ما تلقى أرواح المقبوضين ومن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل ومنها ما هو في كفالة
آدم ومنها ما هو في كفالة إبراهيم قال القرطبي وهذا قول حسن يجمع بين الأخبار
حتى لا تتدافع قال الأستاذ الجليل وذكر البيهقي في كتاب عذاب القبر نحوه فلما ذكر
حديث ابن مسعود في أرواح الشهداء وحديث ابن عباس ثم أورد حديث البخاري
عن البراء قال لما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن له في الجنة مرضعاً ثم قال فحكم النبي صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم

بانه يرضع فى الجنة وهو مدفون فى البقيع فى مقبرة المدينة وقال الحافظ قال النسفى فى بحر الكلام الارواح على أربعة اوجه أرواح الانبياء تخرج من جسدها وتصير مثل صورها مثل المسك والكافور وتكون فى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم وتأوى بالليل الى قناديل معلقة تحت العرش وارواح المطيعين بربض الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر فى الجنة وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والارض فى الهواء وأما أرواح الكفار فهى فى سجين فى جوف طيور سود تحت الارض السابعة وهى متصلة باجسادها فتعذب الارواح وتتألم الاجساد منه كالشمس فى السماء ونورها فى الارض انتهى قلت ومن المعلوم ان هذا التقسيم لغير الشهداء والافقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وفى المواهب اللدنية ما يؤيد هذا حيث قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى أجواف طير خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله سبحانه وتعالى أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الخ رواه احمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تأوى الى قناديل مصدقة قوله تعالى والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وانها تأوى الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا قبل دخول الجنة واما بعد دخول الجنة فى الآخرة فلا تأوى الى تلك القناديل وانما ذلك فى البرزخ اه قال سيدى محمد الزرقانى ولا تنافى بين رواية فى اجواف طير خضر ورواية اجواف طير بيض ورواية فى اجواف زرازير لان الله أكرم اولياءه بكرامات مختلفة ولا يرد ما قاله بعضهم كيف يكون روحان فى جسد قال القاضى عياض صاحب الشفاء وليس للقياس والعقل فى هذا حكم واذا اراد الله جعلها فى قناديل او اجواف طير وقع ذلك على انه ليس فيه قيام روحين فى جسد واحد لان الروح قائمة بجوف الطير كقيام الجنين فى بطن امه وروحه غير روحها الى ان قال الامام المذكور وقال الامام البيضاوى والسهيلى خلق الله لارواحهم بعد مفارقة اجسادها صورة طير تجعل فيها الارواح خلفا عن الابدان توسلا لنيل اللذات الحسية قال وقال السهيلى ايضا اى فى صورة طير

خضر

حصر كما تقول رأيت ملكا في صورة انسان اه وقول الحافظ فيما نقله عن
النسفي وارواح المطيعين بربض الجنة لا تأكل ولا تمتع ولكن تنظر في الجنة وان
درج عليه الا كثر لكن قد ذكر المحقق القسطلاني في مواهبه نقلا عن الحافظ
ابن كثير ما يفيد تمتع ارواح المؤمنين وان لم يكونوا شهداء بالاكل والتلذذ
ورؤية ثمارها لهم في الجنة لا بالنظر فقط ونصه قال وقد روينا في مسند الامام
أحمد حديثا فيه بشرى لكل مؤمن قال الامام الزرقاني شارحها وان لم
يكن شهيدا بأن روحه تكون في الجنة ايضا وتسرح فيها وتأكل من ثمارها
وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة قال وهو
باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة أصحاب المذاهب
المتبعة فان الامام أحمد رواه عن الامام الشافعي عن مالك ابن انس عن الزهري
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رفعه نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر
الجنة حتى يرجعه الله تعالى الى جسده يوم يبعثه قال الامام القسطلاني قوله تعلق
أي تأكل قال وفي هذا الحديث ان روح المؤمن تكون على شكل طير في الجنة واما
أرواح الشهداء ففي حواصل طير خضر فهي كالراكب بالنسبة لارواح المؤمنين فانها
تطير بنفسها قال الامام الزرقاني شارحها وقد تأول بعضهم حديث نسمة المؤمن الذي
رواه الحافظ ابن كثير بانه مخصوص بالشهداء كما في الروض لكن المبادر من الحديث
خلافه ولذا جزم كثير بالعموم قال الامام القسطلاني مؤيدا لما درج عليه الحافظ
ابن كثير ان ما يصيب المسلمين من المحن والبلا اوكا لشهادة في الحكم وهو اشارة الى
أن دركها بقوله ان الله سبحانه وتعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامة
لا تبلغها أعمالهم فيقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة
من أعلى مراتب الاولياء فساقهم اليها قال نسأل الله الكريم المنان أن يمن علينا بكمال
الايمان انتهى لكن لا يخفاك ان ما عللوا به الامام القسطلاني قاصر على اصحاب المحن
والبلايا والذي أفاده الحافظ ابن كثير التعميم عملا بظاهر الحديث قلت لكن ذكر
امام المحققين البرهان العدوي في حاشيته على الرسالة اختصاص الاكل والشرب
للشهداء خاصة واما السعداء غيرهم فليس لهم الا التمتع بالنظر كما اختاره الامام النسفي
آنفا ونصه قد نقل ابن العربي في شرح سراج المريدين اجماع الامة على انه لا يحل
الاكل والنعيم الا للشهداء قال اه ثم قال بل قال العلامة الرملي في فتاويه بناء على

أن الحياة باعتبار الجسم فيما يظهر أن الانبياء والشهداء يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف فى نكاحهم لنسائهم ويثابون على صلاتهم وحجهم ولا تكليف عليهم فى ذلك بل يتلذذون وليس هو من قبيل التكليف لأن التكليف انقطع بالموت بل من قبيل الكرامة لهم ورفع درجاتهم لذلك اه قال وفى السر المصون لسيدى أبى المواهب الشاذلى ان الشهداء ينكحون فانه قال أخبر الله سبحانه عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون وحمله أهل العلم على حقيقته انهم يأكلون ويشربون وينكحون حقيقة قال وقال غيره هذا صرف الآية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجئ الى ذلك قال وقوله ينكحون لم يقيده بنسائهم كما قال الرملى ذكره الاجهورى قال وقد علمت مما تقدم ما تتنعم به الشهداء واما غيرهم فانما يتنعم بغير الأكل والمشرب بأن يملأ عليه قبره كله خضرا ويفسح له فيه ثم ذكر عن الاجهورى انها ترى مقعدها فى الجنة وهى فى قبرها أو حيث شاء الله ولا تدخل الجنة قال المحقق اقول لا يخفى ان هذا مخالف لما وقع فى كلام بعضهم ان ارواح السعداء ولو غير شهداء فى الجنة الآن ويجاب بأن ذلك بالنسبة لبعضهم اه فتحصل من هذا ان تمتع الشهداء فى الجنة بما تقدم متفق عليه لأن حياتهم حقيقة كما هو ظاهر الآية الشريفة وعليه الجمهور لكن حياتهم ليست كحياتهم فى الدنيا ولذلك قال المحقق المذكور ان تلك الحياة لا تمنع من اطلاق اسم الميت عليه بل حياة غير معقولة للبشر فتدبر اه وأما السعداء غير الشهداء فيتمتعون بالنظر فقط من غير أكل وغيره على ما ارتضاه الامام النسفى والمحقق العدوى نقلا عن الحافظ السيوطى والحافظ ابن كثير التنعيم كالشهداء كما سبق لك فى نص المواهب وشرحها للامام الزرقانى هذا تحقيق المقام وحينئذ ظهر لك ما افاده العلامة الامير وابن عبد البر وابن العربى من انها على أفنية القبور غالبا كما هو طريقة الجمهور ولا ينافى ذلك سروحها فى الاماكن المتقدم ذكرها ومع ذلك لها اتصال بمحلها ولذلك شرع القاء السلام عليهم فى قبورهم والسلام لا يكون الا على الموجود لا على المعدوم . وأما كونها فى السماء كما فى حديث الاسراء عند آدم على يمينه أهل السعادة وعن يساره أهل الشقاء فلعل ذلك كان أمرا اتفاقيا للاقاتها للطلعة المحمدية ولكون ذلك من جملة ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم من عالم الملكوت وأما أرواح البهائم فهى فى الصور كما نقله الامام سيدى أبى الحسن الاشعرى فى كتابه شجر اليقين فى تخليق سيد المرسلين ونصه عن أبى

هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الصور وله أربعة شعب شعبة منها في المغرب وشعبة منها في المشرق وشعبة منها تحت الارض وشعبة منها فوق السماء السابعة وفي الصور من الثقب بعدد الارواح في واحد منها أرواح الانبياء وفي واحد منها ارواح الملائكة وفي واحد منها أرواح الجن وفي واحد منها أرواح الانس وفي واحد منها أرواح الشياطين وفي واحد منها أرواح الهوام ونحو ذلك الى تمام سبعين صنفا واعطيه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره متى يؤمر فينفخ ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث انتهى قال سيدي احمد بن المبارك في كتابه الابريز فيما تلقاه عن شيخه القطب الغوث سيدي عبد العزيز الدباغ والثقب التي في الصور كانت قبل خلق آدم معمورة بالارواح ثم قال شيخنا القطب المذكور لما اهبطت روح آدم عليه السلام الى ذاته بقيت ثقبتها خالية وهكذا كلما اهبطت روح بقيت ثقبتها خالية فاذا رجعت الروح بعد الموت الى البرزخ لا ترجع الى الموضع الذي كانت فيه بل تستحق موضعا آخر قال والثقب الخالية تعمر بمعمولات من مخلوقات الله تعالى جعلنا الله في حزب النبي محمد حبيبه وأرواحنا من أهل عليين بجاه سيد المحبين والمحبوبين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين ما لاحت شموس المعارف ساطعة على وجوه العارفين

(الفصل الخامس في بشرة يستمر بها القلب ويستعين بها على ترك المعاصي تدل على ما هم فيه مما رأى لهم منا ما بعد الموت ذكره العارفون) قال الحافظ السيوطي قال اليافعي رؤية الموتى في خير أو شر نوع من الكشف يظهره الله تبشيرا أو موعظة أو لمصلحة للميت أو ايصال خير اليه أو قضاء دين أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامة الاولياء وأرباب الاحوال وقال الجلال أيضا نفعنا الله به بعوله في محل آخر وحكى اليافعي في روض الرياحين عن بعض الاولياء قال سألت الله أن يريني مقامات اهل المقابر فرأيت في ليلة من الليالي القبور قد انشقت واذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرر ومنهم الباكي ومنهم الضاحك فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة فنادى مناد من أهل القبور يافلان هذه منازل الاعمال اما أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن وأما أصحاب الريحان فهم الصائمون وأما أصحاب السرر فهم المتحابون في الله وأما أصحاب البكاء فهم المذنبون

واما اصحاب الضلال فهم اهل التوبة قال فى كنز الاسرار قال يروى عن هشام بن حسان قال مات ابن لى شاب فرأيته فى النوم وهو شائب فقلت له يابنى ما هذا الشيب فقال قدم فلان فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منا احد الا شاب ويروى أن رجلا رئى فى المنام شاخص الوجه متغير اللون وقد علقت يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشد يقول

تولى زمان لعبنا به * وهذا زمان بنا يلعب

ويروى عن ابى بكر الانبارى قال رأى بعض العارفين أباه فى النوم بعد موته وكأنه فى بيت عظيم حيطانه وسقفه اسود من الدخان وهو جالس فى صدر البيت فقال له ياأبت كيف حالك قال يابنى الامر صعب والحساب دقيق ثم أنشد يقول

فلو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعد ذا عن كل شئ

ورأى عمر بن عبد العزيز فى النوم ان القيامة قد قامت وحصل البعث وجمع الناس لفصل القضاء ونودى بالخلفاء واحدا بعد واحد وحوسب كل واحد منهم على منزلته قال فتصببت عرقا ثم أخذت الملائكة بيدى فأوقفونى بين يدى الله تعالى فسألنى عن الفتيل والنقير والقطمير وعن كل قضية قضيتها حتى ظننت انى لست بناج ثم انه تفضل على برحمته فغفرلى وامربى ذات اليمين الى الجنة فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة من هذا قالوا كله يكلمك فوكزته برجلى فرفع راسه وفتح عينيه فاذا برجل أثرم شديد الادمة وحش المنظر فقال لى من انت قلت عمر بن عبد العزيز قال ما فعل الله بك فقلت له تفضل على برحمته فغفرلى وامربى ذات اليمين الى الجنة قال فما فعل باصحابك الخلفاء الذين معك قلت اما اربعة منهم فغفرلهم واما الباقون فلا ادرى ما فعل بهم قال واخذ فى البكاء قال هنيأ ما صرت اليه فقلت من تكون قال الحجاج بن يوسف قدمت على ربى فوجدته شديد العقاب قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة الا سعيد ابن جبير فانه قتلنى به سبعين قتلة وها انا موقوف بين يديه انتظر ما ينتظره الموحدون اه من كنز الاسرار وهذا يدل على وجه التقوية انه كان فاسقا لا كافرا والله اعلم بحقيقة حاله قال الامام القرطبى ومن هذا المعنى هذه الحكاية العجيبة التى رآها بعض العارفين قال روى عن الحارث بن نبهان انه قال كنت أخرج الى

الحسابات فارحم على أهل القبور واعتبر وانظر اليهم سكوتا لايتكلمون وجيرانا لايتزاورون وقد صار لهم من بطن الارض وطاء ومن ظهرها غطاء واناديٰ يااهل القبور حييت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم اوزاركم وسكنتم دار البلاء فورمت اقدامكم قال ثم بكى بكاء شديدا ثم عيل الى قبة فيها قبر فبام في ظلها قال فبينما انا نائم من جانب القبر فاذا انا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وانا انظر اليه والسلسلة في عنقه وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول يا ويلي ماذا حل بي لورآني أهل الدنيا ما ارتكبوا معاصي الله ابدا اطولبت والله باللذات فأوثقتني وبالخطايا فأغرقتني فهل من شافع يشفع لي او مخبر يخبر اهلي بأمري قال الحارث فاستيقظت مرعوبا وكاد ان يخرج قلبي من هول ما رأيت فمضيت الى داري فبت ليلتي وانا متفكر فيما رأيت فلما اصبحت قلت دعني اعود الى الموضع الذي كنت فيه لعلي احدا احدا من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيته قال فمضيت الى المكان الذي كنت فيه بالامس فلم أر احدا فأخذني النوم فنمت فرأيت صاحب القبر وهو يسحب على وجهه والعياذ بالله ويقول يا ويلاه ماذا حل بي ساء في الدنيا عملي وطال فيها املي حتى غضب علي رب الارباب فالويل لي ان لم يرحمني ربي قال الحارث فاستيقظت وقد وله عقلي مما رأيت وسمعت فمشيت الى داري وبت ليلتي فلما اصبحت اتيت القبر لعلي احدا احدا من زوار القبور فلم احد احدا فنمت فاذا هو قد قرن بين قدميه وهو يقول ما اغفل اهل الدنيا عني صرعت على العذاب وتقطعت عني الحيل والاسباب وغضب علي رب الارباب وغلق في وجهي كل باب فالويل لي ان لم يرحمني ربي العزيز الوهاب قال الحارث فاستيقظت من منامي مرعوبا وهممت بالانصراف فاذا ثلاث جوار قد اقبلن فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكي اسمع كلامهن فتقدمت الصغيرة ووقفت على القبر وقالت السلام عليك يا ابتاه كيف هدوك في مضجعك وكيف قرارك في موضعك ذهبت عنا وانقطع عنا سؤالك فالشديد حسرتنا عليك ثم بكت بكاء شديدا ثم تقدمت الاثنان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا قبر ابينا الشفيق علينا والرحيم بنا نسأل الله ان يلحقه رحمته ويصرف عنك عذابه ونقمته يا ابتاه جرت بعدك امور لو علمت بها لاهمتك ولو اطلعت عليها لاحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد كنت انت تسترها قال الحارث فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا اليهن فسلمت عليهن وقلت لهن اتها الجواري ان الاعمال رعا قبلت ورعا ردت على صاحبها فاكان عمل الخلد في هذا القبر

وأما أصحاب الحجاج فهم أهل الموبة قال في كنز الاسرار قال يروى عن هشام بن
حسان قال مات ابن لي شاب فرأيته في النوم وهو شائب فقلت له يا بني ما هذا الشيب
فقال قدم فلان فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منا احد الا شاب ويروى أن رجلا
رئي في المنام شاخص الوجه متغير اللون وقد علقت يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله
بك فأنشد يقول

تولى زمان لعبنا به * وهذا زمان بنا يلعب

ويروى عن ابي بكر الاساري قال رأى بعض العارفين اباه في النوم بعد موته
وكأنه في بيت عظيم حيطانه وسقفه اسود من الدخان وهو جالس في صدر
البيت فقال له يا أبت كيف حالك قال يا بني الامر صعب والحساب دقيق
ثم انشد يقول

فلو انا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شيء

ورأى عمر بن عبد العزيز في النوم ان القيامة قد قامت وحصل البعث وجمع الناس
لفصل القضاء ونودي بالخلفاء واحدا بعد واحد وحوسب كل واحد منهم على مرتبته
قال فمكثت عرقا ثم اخذت الملائكة بيدي فأوقفوني بين يدي الله تعالى فسألني
عن الفتيل والنقير والقطمير وعن كل قضية قضيتها حتى ظننت اني لست بناج ثم انه
تفضل علي برحمته فغفرلي وامربي ذات اليمين الى الجنة فمررت بجيفة ملقاة فقلت
للملائكة من هذا قالوا كلمه يكلمك فوكزته برجلي فرفع رأسه وفتح عينيه فاذا رجل
اثيم شديد الأدمة وحش المنظر فقال لي من انت قلت عمر بن عبد العزيز قال ما فعل
الله بك فقلت له تفضل علي برحمته فغفرلي وامربي ذات اليمين الى الجنة قال فما فعل
باصحابك الخلفاء الذين معك قلت اما اربعة منهم فغفرلهم واما الباقون فلا ادري
ما فعل بهم قال واحد في البكاء قال هنيأ لما صرت اليه فقلت من تكون قال الحجاج بن
يوسف قدمت على ربي فوجدته شديد العقاب فقتلني بكل قتيل قتلة الا سعيد
ابن جبير فانه قتلني به سبعين قتلة وها انا موقوف بين يديه انتظر ما ينتظره
الموحدون اه من كنز الاسرار وهذا يدل على وجه التقوية انه كان فاسقا لا كافرا
والله اعلم بحقيقة حاله قال الامام القرطبي ومن هذا المعنى هذه الحكاية العجيبة التي
رآها بعض العارفين قال روى عن الحارث بن نبهان انه قال كنت أخرج الى

الجبانات

الحسنات فارحم على أهل القبور واعتبروا أنظر اليهم سكوتا لا ينطقون وجيرانا
لا يتزاورون وقد صار لهم من بطن الارض وطاء ومن ظهرها غطاء وانادى يا أهل
القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم فسكنتم دار البلاء فورمت
أقدامكم قال ثم يبكي بكاء شديدا ثم يميل الى قبة فيها قبر فينام في ظلها قال فبينما أنا
نائم من جانب القبر واذا أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر اليه
والسلسلة في عنقه وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول يا ويلي ماذا حل بي لو رآني
أهل الدنيا ما ارتكبوا معاصي الله أبدا طولبت والله باللذات فأوثقتني وبالخطايا
فأغرقتني فهل من شافع يشفع لي أو مخبر يخبر أهلي بأمري قال الحارث فاستيقظت
مرعوبا وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت فمضيت الى داري فبت ليلتي وأنا متفكر
فيما رأيت فلما أصبحت قلت دعني أعود الى الموضع الذي كنت فيه لعلي أجد أحدا
من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيته قال فمضيت الى المكان الذي كنت فيه بالأمس
فلم أر أحدا فأخذني النوم فنمت فرأيت صاحب القبر وهو يسحب على وجهه والعياذ
بالله ويقول يا ويلاه ماذا حل بي ساء في الدنيا عملي وطال فيها أملي حتى غضب علي
رب الأرباب فالويل لي ان لم يرحمني ربي قال الحارث فاستيقظت وقد وله عقلي مما
رأيت وسمعت فذهبت الى داري وبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحدا من
زواره ولم أجد أحدا فنمت فاذا هو قد قرن بين قدميه وهو يقول ما أغفل أهل
الدنيا عني ضوعف علي العذاب وتقطعت عني الحيل والأسباب وغضب علي رب
الأرباب وغلق في وجهي كل باب فالويل لي ان لم يرحمني ربي العزيز الوهاب قال
الحارث فاستيقظت من منامي مرعوبا وهممت بالانصراف فاذا بثلاث جوار قد أقبلن
فتباعدت لهن عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهن و تقدمت الصغيرة ووقفت على
القبر وقالت السلام عليك يا أبتاه كيف هدوءك في مضجعك وكيف قرارك في موضعك
ذهب عنا ودك وانقطع عنا سؤالك فما أشد حسرتنا عليك ثم بكت بكاء شديدا ثم
تقدمت الأخريان فسلمتا على القبر ثم قالتا هذا قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا آنسك
الله بملائكة رحمته وصرف عنك عذابه ونقمته يا أبانا جرت بعدك أمور لو عاينتها
لأهمتك ولو اطلعت عليها لأحزنتك كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت تسترها قال
الحارث فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا اليهن فسلمت عليهن وقلت لهن أيتها
الجوار ان الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها اذا كان عمل الجلد في هذا القبر

الذي عاينت من امره ما الهوني واطلعت من حاله على ما اهمني قال الحارث فلما سمعن كلامي كشفن وجوههن وقلن ايها العبد الصالح وما الذي رأيته قلت لهن لي ثلاث ايام احتلف الى هذا القبر اسمع صوت المتممة والسائلة فيه قال فلما سمعن ذلك مني قلن لي بشارة ما اخبرها ومصيبة ما اعظمها نحن نقضي الاوطار ونعمر الديار واخونا يحرق بالنار والله لا قر لنا قرار ولا هنأ اللذة العيش دار الا ان نتضرع للعزيز الجبار فلعله ان يعتق ابانا وينقذه من النار ثم مضين يعثرن في اذيالهن قال الحارث فمضيت الى داري وبت ليلتي فلما اصبحت اتيت القبر فجلست عنده فغلبني النوم فاذا انا بصاحب القبر له وجه حسن وجمال وفي رجليه نعل من ذهب ومعه حور وخدم وغلمان قال الحارث فسلمت عليه وقلت له يرحمك الله من انت فقال انا الرجل الذي عاينت من امره ما اهولك واطلعت منه على ما افزعك فجزاك الله خيرا فانك طلعتك علي فقلت له كيف حالك قال لي لما اطلعت علي واخبرت بناتي بالامس جالت اعزتي امهاتهن واسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن في التراب واهملن دموعهن بالانسكاب واستوهبنني من العزيز الوهاب فغفر لي الذنوب والاوزار واستنقذني من النار واسكنني دار القرار بجوار محمد المختار فاذا رأيت بناتي فاعلمهن بامري وما كان من قصتي لتزول عنهن روعتهن وتفارقهن حزنهن وقل لهن اني قد صرت الى جنات وحور ومسك وكافور وعندي غلمان وسرور وقد عفى عني العزيز الغفور قال الحارث فاستيقظت فرحا مسرورا بما رأيت وسمعت ثم مضيت الى داري وبت ليلتي فلما اصبحت اتيت القبر فوجدتهن حافيات الاقدام فسلمت عليهن وقلت لهن ابشرن فقد رأيت اباكن في خير عظيم وملك مقيم وقد اعلمني ان الله قد اجاب دعاكن ولم يخيب مسعاكن وقد وهب لكن اباكن فاشكرنه على ما اولاكن قال فقالت الصغرى اللهم يا مؤنس القلوب ويا ساتر العيوب ويا كاشف الكروب ويا غافر الذنوب ويا عالم الغيوب ويا مبلغ الامل المطلوب قد علمت ما كان من مسألتي ورغبتي واعتذاري في خلوتي واستقالة من زلتي وتنصلي من خطيئتي وانت اللهم تعلم همتي والمطلع على نيتي والعالم بطويتي ورجائي عند شدتي ومؤنسي في وحدتي ارحم عبرتي واقيل عثرتي واجب دعوتي فان كنت قصرت عما امرتني وركنت الى ما نهيتني فحلمك جللني وبسترك سترتني فباي لسان اذكرك وعلى اي نعمة اشكرك ضاق بكثرتها ذرعي فيا اكرم الاكرمين ويا منتهى غاية الطالبين ويا مالك يوم الدين الذي

لعلم ما الحق في الصغير وبدبر امر الصغير والكبير قال كتب قصب الحاجه بعصالك
وسعيي في عدلك فاو صي الى اليك وأب على كل شي قدير ثم صرخ صرخه فارف
الدنيا رحمه الله عليها قال ثم قامت الباسه فنادت بأعلى صوتها يارب فرج كربي
وخلصني من السلك فلي امي اقامي من صرعي وأقلني من عثرتي ودلني من حيرتي
وأعانني في شدتي ان كتب قبلت دعوتي وقضيت حاجتي فألحقني بأخي ثم صاحت
صيحه ففارقت الدنيا رحمه الله عليها قال ثم تقدمت ثالثه فنادت بأعلى صوتها أيها
الجبار الاعظم والملك الاكرم والعالم بسكب وبين كلامك الفصل العظيم والملك
القديم والوجه الكريم العزيز من أعززته والذليل من اذللته والسعيد من
سعدته والسعيد من اسعدته والشقي من اشقيته والعزيز من ادنيته والبعيد من
أبعدته والمحروم من احرمته والرابح من اوهبته والخاسر من عدمته اسألك باسمك
العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذي بعد عن ادراك الاوهام وغمض عن
مناولة الاوهام وأسألك باسمك العظيم الذي جعلته على الليل فدجا وعلى النهار فأضاء
وعلى الجبال فرسخت وعلى الرياح فسارت وعلى السموات فارتفعت وعلى
الارضين فجمعت وعلى الملائكة فسجدت اللهم اني اسألك ان كنت قضيت حاجتي
واخترت طاعتي فألحقني بصاحبتي ثم صاحت صيحه ففارقت الدنيا رحمة الله عليها
وعلى جميع المسلمين وسأل الله ان ينفعنا ببساعده الصالحين (وأما ما يتعلق
بالصالحين) مما روي عن الاكابر العارفين مما يدل على ما هم فيه من الخير قال في كنز
الاسرار فمن ذلك ما روي ابن عبد الرحمن بن عثمان قال رأيت معاذ بن جبل مدفونا به
بلال على فرس ابلق وحلقه رجال عليهم ثياب خضر على جبل ابي وهو قدام وهو
يقول يا ايها الناس قومي تعلمون ما عملت لي ربي وجعلني من المكرمين ثم التفت عن يمينه
وعن شماله و يقول يا ايها الناس قطعون الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ
من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين قال ثم صافحني وسلم علي وقال صالح بن بشر
رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن
في الدنيا فقال أما والله لقد اعقبني ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت في أي
الدرجات انت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولما مات سفيان الثوري رحمه الله رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك
قال وضعت أول قدم على الصراط والثاني في الجنة وقال العيزار رأيت عبد الله

ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال بلى قلت ما صنع بك فقال غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب فقلت فسفيان الثوري قال بخ بخ هي كلمة تعجب ذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال نظرت الى ربي عيانا فقال لي

* تنعم نعم درت موز سعيد * هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا * بعبرة محزون وقلب عميد *
فدونك فاختر أي قصر تريده * وزرني فاني منك غير بعيد *

قال العارف البكري في كتابه المنهل العذب اعلم انه قد ورد في فضل القيام بالاسحار والوقوف في تلك الاوقات بين يدي العزيز الغفار آيات كثيرة وأحاديث شهيرة وكفى بقول الله تعالى شرفا لهم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم الآية وقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ومن الاحاديث قوله عليه الصلاة والسلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى وفي حديث آخر ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي حديث آخر أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه اه وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من تعار من الليل بفتح المثناة فوق وتشديد الراء بعد الالف أي انتبه فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قال الامام القسطلاني وترك ذكر الثواب ليدل على ما لا يدخل تحت الوصف كما في قوله تعالى فلا تعلم نفس الآية اه ولكونه من أعظم أوصاف الكمال للعبيد أمر الله سبحانه وتعالى به نبيه الاعظم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك الآية فقام عليه الصلاة والسلام حتى تورمت قدماه ولم يترك القيام للتهجد ولما قالت له الصديقة ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر تريد بعني هون على نفسك فقال لها أفلا أكون عبدا شكورا قال الامام النووي في شرح مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم لها أفلا

أكون عبدا شكورا ابدل على سبع وخوف قيام الليل في حقه كالامة بعرض الصلوات الخمس اه والى هذا يشير الامام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن رواحة قوله

* وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع *
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال الشارح القسطلاني من الفجر بيان للمعروف وساطع صفته اى انه يتلو كتابه وقت انشقاق الساطع من الفجر وهذا بيان للافضل لمن غلب على ظنه القيام آخر الليل والا كان وتره قبل أن ينام أفضل كما كان شأن الصديق وكذا ابو هريرة كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن حتى اموت ان أصوم من كل شهر ثلاثة أيام ولن اصلي الضحى وان اوتر قبل أن انام ولكن لا يفوتك سر قيام آخر الليل المشار اليه بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا لهم ما اطلعتم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم الآية قال شارحه القسطلاني علاء الكرماني وذخرا متعلق باعددت وقال الحافظ في الفتح أي جعلت ذلك لهم مذخورا وقوله بله ما اطلعتم عليه بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح الهاء واطلعتم بضم الهمزة وكسر اللام قال وفي رواية لابي الوقت ما اطلعتم عليه بقطع الهمزة المفتوحة وفتح اللام وزيادة هاء بعد المثناة وللاربعة من بله بزيادة من الجارة اه قلت وبهذه الرواية الاخيرة تعقب ابن هشام في مغنيه حصر النحاة استعمال بله على ثلاثة أوجه فقط اسم فعل لدع ومصدر بمعنى الترك واسم مرادف لكيف حيث قال ومن الغريب ان في البخاري في تفسير الم السجدة يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بله ما اطلعتم عليه فاستعملت معربة مجرورة بمن وخارجة عن المعاني الثلاثة وفسرها بعضهم بمعنى غير وهو ظاهر قال محشيه الدسوقي تقريرا عن شيخه الدردير وقوله في الحديث ذخرا منصوب على المصدر أي ذخرت لهم ذخرا أي اتخذت لهم ذلك الذي أعددته لهم من غير ما أطلعتم عليه أو ما اطلعتم عليه على الرواية الاخرى قال الشمني عليه

لقائل ان يقول يجوز ان يكون مصدرا بمعنى الترك ومن تعليلية والمعنى من أجل تركهم
ما اطلعتم عليه من المعاصي لمن فعلته من المعاصي سواهم اه قال الدماميني هذا
الحديث روى بفتح بله وجرها وكلاهما مع من اما رواية الجر قال فقد وجهها المصنف
واما رواية الفتح قبله بمعنى كيف التي يقصد بها الاستبعاد وما مصدرية وهي مع صلتها
مبتدأ ومن بله خبر والضمير في عليه عائد على الذخر اى كيف ومن اين اطلاعكم على
هذا الذخر الذي اعددته لعبادي الصالحين الذي لا تحيط به العقول قال ودخول
من على بله بمعنى كيف حكاه الرضي عن ابي زيد يقال فلان لا يحمل الفهر فمن بله
ان يأتي بالصخرة اى كيف ومن اين هذا اه اما على رواية ترك من فتقدم توجيهها
عن المعاني الثلاثة ظاهر فعلى كونها اسم فعل امر بمعنى دع يكون المعنى دعوا
اطلاعكم عليه اى طلبه لانه لعظمه لا تحصيه عقولكم وكذا على كونها مصدرا وعلى
كونها اسما مرادفا لكيف يكون المعنى كيف اطلاعكم عليه اه وانما ذكرت هذا
تسهيلا لمن اطلع على رواية الامام البخاري من غير ان يكون معه من الشراح
ما يكشف الغطاء عن فهم الحديث خدمة لفهم كلام النبوة بسهولة ولنرجع الى ما كنا
بصدده من ذكر فضل قيام الليل قال الامام البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا
حتى يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه من
يستغفرني فأغفر له قال الامام القسطلاني نزول الله بمعنى نزول رحمته ومزيد لطفه
واحسانه واجابة دعوة الداعي وقبول معذرته كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة
الرحماء اذا نزلوا بقرب قوم الفقراء الملهوفون ان يمنوا عليهم بالاحسان كما هو شأن الكرم
لا بنزول حركة وانتقال لاستحالة ذلك على الله ويحتمل ان المعنى ينزل ملك ربنا بامره
ونهيه قال قال الامام القرطبي ويؤيده ضبط بعضهم ضم الياء من ينزل اى ينزل الله
ملكا قال ويدل له رواية النسائي ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول
ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب له الحديث قال وبهذا يرتفع الاشكال
وقوله حتى يبقى ثلث الليل الآخر قال وتخصيصه عليه الصلاة والسلام بالليل كما
في بعض الروايات او بالثلث الآخر منه لانه وقت التهجد وغفلة كثير من الناس
والتعرض لنفحات الرب وعند ذلك تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى
وافرة وذلك مظنة القبول والاجابة قال وقوله من يدعوني فاستجيب له بنصب

النصب على جواب الاستفهام والرفع على تقدير مبتدا وكذلك العلان بعده واستحب عيسى احب قال الدارقطني وانما حص هذا الوقت لانه وقت الفصل على عبده واستجابة دعائهم واعطائهم والله أعلم وعن ابن عتبة قال رأيت الثوري وقدمات كانه يطير في الجنة من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل له بم دخلت الجنة فقال بالورع قيل له ما فعل بعلي ابن عاصم فقال ماتراه الامثل الكوكب وقال في كبر الاسرار كان شعبة بن الحجاج ومسعر ابن كدام من اكابر المحدثين وحفاظهم وكان شعبة اكبر وأجل هيبة قال أبو أحمد اليزيدي فرأيتهما في النوم وكنت الى شعبة أميل مني الى مسعر يعني في حياتهما فقلت له يا أبا بسطام حطابا الشعبة ما فعل الله بك قال وفقك الله يا بني احفظ ما أقول ثم أنشد يقول

حباني الهي في الجنان بقبة * لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الجبار يا شعبة الذي * تبحر في جمع العلوم واكثرا
تمتع بقربي انني عنك ذو رضى * وعن عبدي القوام في الليل مسعرا
كفى مسعرا عزا أن سيزورني * واكشف عن وجهي ويدنو لينظرا
وهذا فعالي بالذين تمسكوا * ولم يألفوا في سالف الدهر منكرا

وذهب الحسن بن حصم عن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن الحجاج قال حدثني رجل من أهل طرطوس قال دعوت الله عز وجل أن يريني أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد ابن حنبل ما فعل الله به فرأيت بعد عشر سنين فيما يرى النائم كأن أهل القبور قد قاموا على رؤوسهم فبادروني بالكلام فقالوا يا هذا أما زلت تدعو الله ان يريك ايانا تسأل عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحلله الملائكة تحت شجرة طوبى وقال محمد بن احمد الكندي رأيت أحمد بن حنبل رحمه الله في النوم فقلت يا أبا عبد الله ما فعل الله بك فقال غفر لي ثم قال يا أحمد ضربت في ستين صوتا قلت نعم يا رب قال وجهي اعطيتك النظر اليه فانظر اليه وروى عن عبدة العابدة رحمها الله قالت لما حضرت الوفاة رابعة العدوية رضي الله عنها قالت يا عبدة لا تشعري بموتي أحدا وكفنيني في جبتي هذه وهي جبة من شعر كانت تصلي فيها قالت فكفناها في تلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه قالت عبدة فرأيتها في النوم بعد موتها وعليها حلة من استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر قط أحسن منهما قالت فقلت لها يا رابعة ما فعلت

بتلك الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف فقالت انه ما نزع عني واستبدلت بهما الذي
ترين علي وطويا وختم عليهما ورفعا في عليين ليكمل ثوابهما الى يوم القيامة قلت
لها فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله الى الدرجات
العلى فقلت لها وبم وقد كنت انت عند الناس اكبر منها قالت انها لم تكن تبالي على
اي حال اصبحت من الدنيا ولا امست فقلت فما فعل ضيغم بن مالك قالت
تسألين عن رجل يزور الله متى شاء قالت قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ بخ
أعطي والله فوق ما كان يأمل قالت فقلت فبم تأمريني ان اتقرب به الى الله عز وجل
قالت عليك بذكر الله عز وجل فيوشك ان تغتبطي بذلك في قبرك وقال ابن أبي جعفر
السقاء صاحب بشر بن الحارث ومعروف الكرخي رأيتهما وكأنهما في هيئة
جميلة فقلت من اين قال من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى عليه السلام وقال
بعض الصالحين رأيت بشر بن الحارث في النوم وما كنت رأيته في اليقظة ولا كلمته
قط فرأيت كأني واقف بين يدي الله عز وجل اسمع كلاما ولا ارى احدا وهو يقول
يا بشر قد قبلناك وقليلا من كان مثلك فسمعت بشرا يقول ومن معي يا رب قال قد
غفرت لهم وقال عاصم الجزري لقيت بشر بن الحارث فقلت من اين يا ابا نصر قال من
عليين فقلت ما فعل ابن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدي
الله عز وجل يأكلان ويشربان قلت له فانت لم تكن معهما قال علم الله قلة رغبتي
في الطعام فاباحني النظر اليه وقال ابو الحسن المالكي صحبت خيرا النساج سنين
كثيرة فقال لي قبل موته بثمانية ايام انا اموت يوم الخميس قبل المغرب وادفن يوم
الجمعة قبل الصلاة وتنسى فلا تنسى قال فنسيته الى يوم الجمعة فلقيت من اخبرني
بموته فخرجت لاحضر جنازته فوجدت الناس قد اخرجوا جنازته الى المصلى قبل
الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال انه غشي عليه ثم افاق فالتفت الى ناحية
البيت وقال عافاك الله انما انت عبد مأمور وانا عبد مأمور والذي امرت به لا يفوتك
والذي امرت به يفوتني فدعا بالوضوء ثم صلى ثم تمدد ثم غمض عينيه ومات فرؤي
في النوم فقيل له كيف حالك قال لا تسأل عني لكني تخلصت من دنياكم وكان
آخر دعائه اللهم يا سيدي حبست من شئت عن خدمتك واطلقت لها من احببت من
خلقك غير ظالم ولا مسئول عن فعلك وقد تقدمت لي فيك آمال فلا تجمع علي المنع
من الطاعة وخيبة الآمال فيك يا كريم وكأنه نال هذا بذلك التضرع والاستغاثة

بالاسحار

بالاخبار ورؤي عليه حلة قال الراوي ما رأيت ابيات شعر وعليها مكتوب بالذهب انعم
وتبدلت الأمل انعم وتبدلت الأمل فقلت له ما هذا المكتوب على ثيابك قال هذه حاجة
تسرني وأملي الذي كنت آمله من سيدي وقال أبو عبد الرحمن الساحلي رأيت
ميسرة بن أسلم في المنام فقلت له أصلحك الله طالت غيبتك قال السفر طويل قلت
وما الذي قدمت عليه قال رخص لنا لانا كنا نفتي بالرخص فقلت ثم تأمرني به قال
باتباع الآثار وصحبة الأخيار فانهما ينجيان من النار ويقربان الى الجبار قال بعض
العارفين رأيت في النوم كأني في السماء ولأهل السماء ضجيج وحركة وهم يقولون جاء
المحسن جاء المحسن جعفر بن الزبير فانتبهت ومشيت الى منزله فوجدته قد مات ويروى
عن أبي جعفر العزيري قال رأيت عيسى بن زيدان بعد موته فقلت ما فعل الله بك
فأنشد يقول

لو رأيت الحسان في الخلد حولي * واكاويب معهم للشراب
* يترنمن بالقرآن جميعا * يتمشين مسبلات الثياب

وعن يعلى بن عبيد قال جاء رجل الى سفيان الثوري فقال يا أبا عبد الله رأيت
في المنام كأن ملكا نزل من السماء فاقتلع ريحانة وصعد بها الى السماء فقال له سفيان
ان صدقت رؤياك فقد مات الاوزاعي فضبط ذلك فجاء نعيه فيه أي جاء خبر موته وعن
عبد الرحمن بن زيد كان من الصالحين قال رأيت في المنام ليلة مات الحسن البصري
رحمه الله ان أبواب السماء قد فتحت وكأن الملائكة صفوف فقلت ما هذا الأمر
عظيم فسمعت مناديا ينادي الا ان الحسن بن الحسن قد قدم على الله وهو عنه راض
وقال عبد المسلم وكان يعرف بوجه الجنة رأيت أبا عبد العزيز العزاري بعد موته
فقلت له كيف وجدت الأمر قال اسهل مما تذكرون ولكن بأصعب مما تصفون
فقلت له ما فعل صاحبك سهل الوراق فقال يدي في يده ويده في يدي يعني في الجنة
ولكنه أطول مني قامة يعني ارفع مني مرتبة اللهم الحقنا بهم على الايمان واجعلنا
من الفائزين معهم في أعلى الجنان بجاه النبي عليه الصلاة والسلام انتهى من شرح
الصدور للسيوطي وكنز الاسرار ولواقح الافكار للامام الصنهاجي وتذكرة الامام
القرطبي وانما ذكرت ذلك اقتداء بهؤلاء الأئمة الاعلام ولعل العبد بذكرها
ينتفع من قسوته ويفيق من غفلته بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه وصفوته
ما دامت نسمات الرحمات تعلو على قبور أهل مودته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

(الباب الثالث فيما يتعلق بزيارة القبور وفيه ستة فصول)

(الفصل الاول في حكم الزيارة وبيان الدليل الوارد بطلبها والترغيب فيها)

(اعلم) ان حكم الزيارة الاصل فيه الندب وذلك للرجال ويحرم للشواب من النساء
ويجوز للقواعد اللاتي لا ارب للرجال فيهن قال الاستاذ الشيخ عبد الباقي على
خليل واخذ بعضهم اختصاص الزيارة بالرجال دون النساء من قوله صلى الله عليه
وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها بناء على الاصح عند الفقهاء
والاصوليين من عدم دخولهن في خطابهم قال اه تتائي قال والاحسن الاستدلال
على منعهن بخبر ارجعن مأزورات غير مأجورات قال وهذا في الزمن القديم فكيف
بهذا الزمن كما في المدخل اه لكن قال العلامة الامير قوله والاحسن الخ فيه
ان هذا الحديث في خروجهن خلف الميت وقد قيل انه منسوخ خاص باول الزمن من
حيث كن يخرجن يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى اه قال في المواهب اللدنية
قد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي قال واوجبها الظاهرية
قال ومحل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف الاظهر
في مذهب الشافعي الكراهة اه فعليك بما سمعته من التفصيل ويؤيده
رواية الامام البخاري عن ابي يعلى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جنازة فرأى نسوة فقال اتحملنه قلن لا قال اتدفنه قلن لا قال فارجعن
مأزورات غير مأجورات قال شارحه القسطلاني واستفهامه عليه السلام منهن
انكاري وتوبيخ على خروجهن اه واما زيارتهن للقبور فمستحبة لغير الشواب منهن
مالم يلزم على ذلك اجتماع على القبر لتعديد او نوح والا حرم ويدل لذلك ما اخرجه
الامام البخاري قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال اتقي الله
واصبري قالت اليك عني فانك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها انه النبي صلى الله
عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين فقالت لم اعرفك
يارسول الله فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى قال الامام القسطلاني زاد في رواية
يحيى فسمع منها ما يكره قال أي من نوح او غيره على القبر وزاد في رواية مسلم قيل لها
هل تعرفينه قالت لا فقيل لها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها مثل الموت
من شدة الكرب الذي أصابها ما عرفت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

واما الشابة فلها صلى الله عليه وسلم لا بد من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه
اذا مشى كعادة الملوك والكبراء اه فانت تراه صلى الله عليه وسلم انما أمرها
بالصبر والاحتساب ونهاها عن البكاء ولم ينهها عن الزيارة وقال العلامة المذكور
يستدل لهن بزيارته وزيارة النساء والاولياء لرجاء الخير والبركة اه قلت والاظهر
تقييد هذا بغير الشواب اللاتي يخشى من خروجهن الفتنة ويدل لهذا التقييد قول
العلامة المذكور في شرحه على البخاري ان ما ورد من الامر بالزيارة محمول على الندب
بالنسبة للرجال واما الشواب من النساء فالظاهر الحرمة قال وعليه يحمل حديث
الامام الترمذي لعن الله زوّارات القبور قال وقال القرطبي يحتمل ان الحرمة مخصصة
على الكثرة أخذا من قوله زوّارات للمبالغة وحمل بعض الشراح ذلك على زيارتهن
للتعديد والبكاء والنوح على ما جرت به عادتهن قال الشارح القسطلاني المذكور
ولو قيل بالحرمة في حقهن في هذا الزمان لاسيما نساء مصر لما في خروجهن من الفساد
لم يبعد اه وقوله البكاء اي برفع صوت واما مجرد حزن وسيلان دمع فلا كراهة
ولا منع لما ذكره الامام القسطلاني عن الامام الترمذي دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عثمان بن مظعون وهو ميت فانكب وقبله وبكى حتى سالت دموعه
على وجنتيه وفي روايته عنه عليه السلام ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب
ولكن يعذب بهذا وأشار الى لسانه او يرحم وان الميت يعذب ببكاء أهله عليه اي ان
أوصاهم بذلك اه قال الامام القرطبي قال العلماء ليس للقلوب أنفع من زيارة
القبور لاسيما ان كانت قاسية وذلك لما فيه من مزيد الاعتبار والتأمل فيما صار اليه
أمرهم قال في كنز الاسرار وما زال على ذلك اهل الفضل واليقين وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم نسخ النهي وأمر بعد ذلك بالزيارة لقوله
صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهدكم في الدنيا
وتذكركم الآخرة وفي رواية للطبراني في المعجم الكبير عن زيد بن ثابت زوروا القبور ولا
تقولوا هجرا أي قولا باطلا وكلاما لا معنى بل المقصود الاشتغال بالاعتبار والتأمل
والتدبر في أحوال الآخرة ولا ينبغي الاشتغال بغير ذلك من اكل وحلاوة كالكعك
مما ينافي التدبر المطلوب وفي الحديث قال العلامة الاجهوري روى من حديث أبي
هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وقال السلام عليكم
دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون فنسأل الله لنا ولكم العافية قال

وعن ابن عبد البر بسند صحيح ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا
فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه
وقبر عثمان بن مظعون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر النبي صلى الله عليه
وسلم بقبور المدينة فأقبل عليها وقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم
أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع نسأل الله لنا ولكم العافية أنتم سابقنا ونحن بالأثر
اه وفي الشيخ عبد الباقي وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال من دخل المقابر
فقال اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك
مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما مني استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق الله
آدم وأخرجه ابن أبي الدنيا بلفظ كتب له بعدد من مات من ولد آدم إلى أن تقوم
الساعة حسنات اه قال وظاهر الأول استغفار من لم يدخل مقبرته أيضا وظاهر
الثاني العموم في عددهم أيضا قال العلامة الأمير قوله ابن أبي شيبة هو من مشايخ
البخاري وقوله روحا منك بفتح الراء أي رحمة قال تعالى فروح وريحان اه
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وفي رواية من
زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة ومعنى وجوب الشفاعة للزائر
ثبوت شفاعة خاصة منه صلى الله عليه وسلم لذلك الزائر لا دخوله في العموم وهذا
يستلزم البشرى بالموت على الإيمان ولا يخفى ما في الإضافة من تمام التشريف فإن
الشفاعة تعظم بشرف الشافع وفي رواية للبيهقي من مات في أحد الحرمين بعث من
الآمنين يوم القيامة ومن زارني محتسبا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة
ويجب على الزائر تمام الأدب عند قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وأنه حي يشاهده
قال العلامة السبكي حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا ويشهد لذلك
صلاتهم في قبورهم فإن الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة
للأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون
الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج للطعام والشراب وأما الإدراكات
كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى اه وظاهر عبارة المحقق
المذكور تقتضي مساواة الشهداء للأنبياء في حياتهم في البرزخ والذي ذكره
في الجواهر أن حياة الأنبياء في البرزخ أقوى وأكمل من الشهداء ونصه لا شك أن
حياة الأنبياء في البرزخ أكمل من حياة الشهداء مع اعتقادنا ثبوت نحو السمع والبصر

لكل منهم رعوذ الحياة له كانت بعيم الفرق الى ة وعدانه وادراكهما مشروط بالحياة لكن يكفي حياة جزء يقع به الادراك ولا توقف على الحياة لبنية بعم الظاهر من الادلة ان حياة الشهداء اقوى من حياة الاولياء واداعلمت ذلك فيجب عليك ان تكون في غاية الادب عند زيارته صلى الله عليه وسلم خاصة الصوت وجلا خرساعلى دونك وفي الشفاء سند عن ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين الامام مالكا رضي الله تعالى عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو ام استقبل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اه وقوله وهو وسيلة أبيك آدم ظاهر لما صحح الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي اي الا غفرت فقال يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يارب لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى اذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لكافة الخلق لاسيما لامته في حياته وبعد مماته كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ومماتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله تعالى عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم والذي عليه الاعتقاد والتحقيق ان الانبياء احياء في قبورهم وان النبي صلى الله عليه وسلم يسر بطاعة امته وينبغي للزائر مريد التوسل به صلى الله عليه وسلم في اقالة ذنوبه وعثراته كما كان يتوسل به في حياته قال في المواهب اللدنية اعلم ان زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات وارجى الطاعات والسبيل الى اعلى الدرجات الى ان قال وينبغي لمن

قصد زيارة قبره الشريف أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه
أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك الى ان قال
وينبغي لمن أراد الزيارة ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم في
طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليزد الصلاة والتسليم
عليه صلى الله عليه وسلم وليسأل الله ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين
وليغتسل ويلبس انظف من ثيابه ماشيا باكيا قال ولما رأى وفد عبد القيس
رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه
فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه قال ولما وقع بصري على القبر الشريف
والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الثرى
والجدران وأنشدت متمثلا أول عند حضرة دار رسول

* ايها المغرم المشوق هنيا * ما انالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا * طال ما اسعد النوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الاشجان والاشواق
ومر العين ان تفيض انهمالا * وتوالي بدمعها المهراق
* هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الآماق

قال ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة قال قيل وهذا ما لم يكن مروره من جهة
وجهه الشريف والا استحبت الزيارة أولا قال في تحقيق النصرة وهو استدراك
حسن قال ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقا قال قال ابن الحاج وكل ذلك واسع
قال وينبغي للزائر ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين
الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف لو كنتما
من أهل البلد لأوجعتكما ضربا ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فيجب الادب معه صلى الله عليه وسلم كما في حياته قال وينبغي للزائر
أن يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو
أبلغ في الادب من الاتيان من جهة رأسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قباله
وجهه صلى الله عليه وسلم بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في رخام الذي في الجدار
قال شارحه الزرقاني وهذا المسمار قد ازيل الآن وصار بدله شباك من نحاس
أصفر يقابله الزائر قال القسطلاني وقد روى ان مالكا لما سأله ابو جعفر المنصور

العباسي يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة قال وينبغي للزائر أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع ويلازم الأدب والخشوع والتواضع غاضاً البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به قال وقد روى ابن المبارك عن سعيد ابن المسيب ليس من يوم إلا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم قال ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وأن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار تعظيماً لما عظم الله من شأنه قال ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح وإطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله أفضل ما جازى نبياً ورسولاً عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده قال ومن ضاق وقته عن ذلك فليقل ما تيسر منه قال وعن نافع عن ابن عمر كان إذا قدم من سفر دخل المسجد قال شارحها أي فصلى ركعتين ثم أتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه قال القسطلاني وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع قال وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الأصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم قال وقد قال العلماء من وقف

عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها
سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال قال الشيخ
زين الدين وغيره والاولى ان ينادي يارسول الله وان كانت الرواية يا محمد وان أوصاه
أحد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يارسول الله من
فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله تعالى عنه لان رأسه
بحذاء منكب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين
السلام عليك يامن أيد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا
اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا أمير المؤمنين السلام عليك يامن أيد الله به
الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به قال الامام
المذكور ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة
ويسأل الله تعالى بجاهه أن يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلاة والسلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه قال وفي
الشفاء للقاضي عياض قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله
هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم قال ولا شك
ان حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مشتهرة ونبينا أفضلهم قال
واذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته صلى الله عليه وسلم أكمل وأتم انتهى
أسأل الله الكريم متوسلا اليه بوجاهة نبيه العظيم ان يعطف علينا هذا القلب الرحيم
وان يمن علينا بزيارته مع القبول والتكريم وفي الامام الترمذي والنسائي وقال حسن
صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ادع الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك فقال
يارسول الله انه ليس لي قائد وقد شق علي فامره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو
بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
ياسيدنا يا محمد اني أتوجه بك الى ربي فيقضي لي حاجتي اللهم شفعه في وصححه البيهقي

وزاد بقيام بأمر وقد ذكر الامام ابن حجر في الدر المنضود انه ينبغي لمن وقع في شدة
أو حاجة طالبا قضاءها من ذي امارة ان يفعل ذلك ويقضي الله حاجته وروى أبو سعيد
السمعاني عن علي رضي الله تعالى عنه قال قدم علينا اعرابي بعد مادفنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بثلاثة ايام فرمى بنفسه على قبره وحثى على رأسه من ترابه وقال
يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما انزل عليك
ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر
انه قد غفر لك ومن ذلك المعنى ما ذكره الامام العتبي قال كنت جالسا عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله
يقول ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية وقد جئتك مستغفرا من ذنبي متشفعا الى ربي
ثم أنشد يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال
يا عتبي الحق الاعرابي وبشره ان الله قد غفر له ولاشك ان الزيارة يحصل بها السرور
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينشأ من ذلك النفع العميم للزائر ومما يدل لذلك
مارواه ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء في قصة بلال بن رباح وكان مقيما
بالشام ببيت المقدس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى النبي صلى الله
عليه وسلم مناما وهو يقول ماهذه الجفوة يا بلال اما آن لك أن تزورني فمات حزينا
خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فحين وصل الى القبر الشريف صار يبكي عنده
ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا له نشتهي
نسمع اذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فعلا سطح
المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما ان قال الله اكبر ارتجت المدينة فلما
قال اشهد ان لا اله الا الله زادت رجتها فلما ان قال أشهد ان محمدا رسول الله خرجت
العواتق من خدورهن وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأي يوما أكثر
باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم فاذا علمت
ذلك علمت ان الزيارة وصلة مع المحبوب وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له صلى
الله عليه وسلم ووروده عليه ومن ذلك المعنى ما ذكره بعض العارفين عن القطب الرفاعي